16me Année No. 719

Lundi — 24 — 3 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١٦ « القاهرة فى يوم الاثنين أول جمادي الأولى سنة ١٣٦٦ — ٢٤ مارس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

الخيـــانة العظمى ...!

للأستاذ محمود محمد شاكر

كثرت لجاجة الصحف البريطانية ومراسليها فى مسألة مصر والسودان ، ولا تزال تلحّ فى ترديد الأقوال التى تشكك فى عرض قضية الجلاء عن وادى النيل — مصره وسودانه — على مجلس الأمن أو أية هيئة دولية يكون من حقها أن تنظر مثل هذه القضية ، ولم تزل هذه الصحف ومراسلوها يدسّون كلمة « العودة إلى المفاوضة » دسّا عجيباً حيث يحتاج إليها الكلام وحيث لا يحتاج . وهذه عادة قديمة وأسلوب عتيق كسائر أساليب بريطانيا فى الخدع الخافية التى تسمّيها سياسة . ولسنا ندرى على أىّ أساس يبنى هؤلاء المراسلون ، أو الموحون إليهم ، كلامهم ونرتهم هذه . ولكن الشىء الذى لا نشكّ نحنُ فيه البتّة ، والذى ينبغى أن تعرفه بريطانيا ومن ترسلهم إلى مصر والسودان ليحملوا إليها أنباء هذه البلاد — هو أن الشعب المصرىّ السودانىّ قد قال كلمته منذ اليوم ، وقد قضى على كل سياسىّ يخرج على إجماع الشعب بالخيانة العظمى كما تفهمها الشعوب — لا كما تفهمها الحكومات . وقد انعقد إجماع الشعب على اختلاف الأحزاب التى ينتمى إليها :

١ — بأن لامفاوضة بيننا وبين بريطانيا بتّةً وقولا واحداً .

٢ — وأن الجلاء كلمةٌ يرادُ بها أن تجلوَ بريطانيا عن وادى النيل لا عن مصر دون السودان .

٣ — وأن طلب الجلاء ينبغى أن يعرضَ على هيئة دولية لها شرفٌ تخافُ أن يُثلَم ، ولها مكانة تتحرّج عن سقوطها فى أعين البشر .

٤ — وأن التجربة قد دلّت على أن بريطانيا خلوٌ من هذين الشرطين ، وهما شرطان لا بُدَّ منهما لمن ترتفع إليه بقضيتنا أو من نفاوضه فيها .

٥ — وأن كل دعوةٍ يُراد بها أن نعود إلى المفاوضة فى حقٍّ من الحقوق المكفولة لسائر البشر ، ليست إلا خيانة توجب على مرتكبها ما توجبه سائر الخيانات من قصاص .

٦ — وأن مصر والسودان أمةٌ واحدة ، سوف تتولى بنفسها عقاب كل خائن .

هذا مختصر ماينبغى لبريطانيا وساستها أن يعلموه علم اليقين .

أما مراسلوها وجواسيسها الذين كُلّفوا بأن يحملوا إليها الأنباء التى تهتدى بها فى سياستها التى تخصُّ مصر والسودان فقد كذبوها أخس الكذب ، لا لأنهم يريدون الكذبَ على أمّتهم البريطانية ، كلاّ . بل لأنهم جهلوا كلَّ الجهل طبيعة الشعب المصرى السودانى ، وخدعتهم الظواهرُ عن حقيقة النار المضطرمة فى أحشاء مصر والسودان ، منذ استيقن شعب مصر والسودان أنّ بريطانيا أمة من أخلاقها الغدْر والوقيعة وإخلاف الوعد والتلوّن فى ألفاظٍ من بهرج الكلام وزائفه

ونحن لن ننصبَ أنفسنا لإفهام هؤلاء القوم ما طبيعة شعب مصر والسودان ، ولكنّا سنحدثهم عن مسألة المفاوضة نفسها كيف كان من أمرها ، ولهم بعد ذلك أن يحكموا بما يشاؤون ، فإن إخراجَ الغُرور من رأسِ المغرور أعسر من ردّ النور إلى عينَي الأكمه ؛ ولا سيّما إذا كان غروراً بريطانياً متغطرساً .

ففي أوائل القرن الماضي قام في مصر فتى ينادي في جنبات هذا الوادي : « بلادي ! بلادي ! » فهبّتْ مصر والسُّودان تتلفّت مستجيبةً لهذا الداعي النبيل الصوت ، الحبيب النداء ، القويّ الإيمان . لقد كانت مصر والسودان هي التي تنادي مصر والسودان ، فهي دَمُه ، وهي أعصابه ، وهي نفْسه ، وهي جنانه ، وهي لسانه ، وهي حقيقته التي صار بها هذا الفتى يُدعى بين الناس « مصطفى كامل » . ثم أوحت مصر والسودان إلى فتاها أن يقذفَ في وجه بريطانيا ذاتِ البأس بكلمتها الخالدة : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، لأن حقيقة مصر والسودان المستقرّة في بنيان هذا الفتى كانت تعلم من سرّ ضميرها أن هذا هو الحق ، وأما كلّ شيء سواه فباطلٌ وقبضُ الريح ، كما قال سليمان . نظرت مصر والسودان إلى هذا الفتى الضئيل المَرُوق وهي تبكي من فَرْطِ لهفتها وتخوُّفها ومن فرط ما كانت تشعرُ به يومئذ من العجز الذي استهلكها وأثقلها عن أن تكون مثله توثُّباً ونشاطاً وقوة وحياةً ، ولكنها آمنت به ورضيتْ عنه وجعلت دمعها شهادةَ الإيمان بحقّه وحقّها الذي أجراه الله على لسانه

ونجمت يومئذٍ فئة من خلق الله الذين شاء برحمته وحكمته أن يجعلَ مصر والسودان لهم منبتاً ومَباءةً كما جعلها منبتاً ومباءةً لسائر الهوامّ وحَشَائر الأرض وهَمَج الجوّ ، وقامت بريطانيا تتعهّد هذه الفئة وتغذوها وترضعُها من دَرّها بُغيةَ أن تشتدّ فتكون سباعاً وجوارحَ وأعواناً لها على الفتك بهذا البلد الأمين ، وما هو إلا قليلٌ حتى خرجَ منها خلقٌ يعْوى في وجه الفتى ويُبَحُّ ويهرُّ هريراً لا ينقطعُ ، ولكن مصر والسودان أبتْ إلا فتاها فأطاعتْه وأنكرت تلك الفئة التي نبتت أبدانها على شيء غير نيلها وتربة هذا النيل .

ثم قبض الله إليه فتى مصر والسودان ، فخرجت مصر والسودان في جنازته تبكي الصوت الذي ردّد الكلمة الخالدة المنبعثة من سرّ أحشائها : « بلادي ! بلادي ! لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، خرجت مصر والسودان حتى سباعُ بريطانيا وعُواتها ونُبّاحُها يبكون أيضاً ، لأن في دمهم شيئاً من مصر كان يحنّ بهم إلى صوت بلادهم ومأتمها ونواحها .

بقيت مصر تذكُر فتاها ، وتسمع صدى كلماته من حيثما تلفّتت ، حتى جاءت الحرب العالمية الأولى وخشعتِ الأصواتُ لهدّ القنابل ودوي الرصاص ، فما كاد يسكتُ ناطق الحرب حتى انبعثت مصر بالقوة الدافعة التي جيّشتها في قلبها هذا الفتى الشاب ، وصرخت في وجه بريطانيا الظافرة : « حقّي ! حقّي ! أيتها الغاصبة » لم تهَبْ بأسها ولا سطوتها ولا جبروت الظافر المسكِر الذي ثملت بنشوته .

ثم كان شيء لا ندري كيف كان ! !

كان منطق الحوادث يقضي بأن تردّد هذه الجماهير الثائرة كلمة مصر والسودان الخالدة : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، ولكنها اقتصرت يومئذ على ما يتضمن ذلك النداء الحكيم الذي نادى به فتى مصر فجعلت تقول « الاستقلالُ التامّ » ، وخرجت بريطانيا تُقتّل بالرصاص جمهوراً ثائراً مطالباً بحقه مستبسلا في سبيله ، فكلما انطلقت رصاصة انطلقت معها صيحةٌ واحدة من حناجر أمة بأسرها : « الاستقلال التام » ، فكأنها رأتها تغني عن كلمتها : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » . فهما عندها كلمتان مترادفتان

وألحت بريطانيا في التقتيل والفتك والعُدوان والبغي ، وألحت مصر والسودان في الجراءة على باطل بريطانيا مطالبة بحقها وهو « الاستقلال التام » ، ولم يكن يدورُ بخلدها شيء إلا هذا النداء وحده ليلا ونهاراً وبكرة وعشية ويوماً بعد يوم ، ولم يكن يجري في وَهْم الشعب الثائر المطالب بالحق أنّ أحداً سوف يقول : تعالى أفاوضك يا بريطانيا ! فيحذر عندئذ حذره ويعود إلى نداته الأول الذي هو الكلمة المستكنة المضمرة في دَمِ هذا الشعب الذكيّ على قلة علمه ، القوي على ضعف حيلته .

ثم كانَ شيء لا ندري كيف كان ! !

كان زعيم هذا الشعب الثائر « سعد زغلول » ، وكان رجلا شيخاً ، ولكن ناهيك به من شيخ ، وكان خطيباً حسبُك من خطيب ، كان يسمّع الهمهمة التي تدورُ في دم الشعب

ولا تجد لها بياناً ، فيصوغ لها بياناً من عنده ويلقى به إلى الشعب فإذا هو يسمعُ كل ما فى ضميره مترجماً فى ألفاظ حية تتردّد فى أذنيه . وفُتِن الشعب بسعد لسانه الذى ينطقُ بأسراره التى تتحيَّر فى دمه ولا يعرفُ كيف يبينُ عنها ، وأسلم القياد لرجل يهديه ويرشدهُ ويعبّر عنه ، ويلطم بشيخوخته الوقورة الصاخبة شبابَ بريطانيا الظافرة الطائشة السُّكرى براحِ النصر .

ثم كان شىء الله يعلم كيف كان ! !

فإذا هذا الشعب المأخوذ بسعد ، الفائر بالثورة فى طلب حقه المتهجّم على بريطانيا العاتية ، الماتحُ من منبع النيل إلى مصبه يطلبُ الحرية من قيوده وآصاره فتتلقّاه أسنّة الرماح البريطانية ويتخطّف أرواحه رصاصُ الوحوش ذاتُ المدنية العريقة منذ كان أرسطو إلى هذا اليوم !! إذا بهذا الشعب المنادى بالاستقلال التام يسمعُ دعوةً إلى مفاوضة بريطانيا لا يدرى أحدٌ كيف جاءت وكيف تدسست إليه ، وإذا سعدٌ هو المفاوض ، فثارت مصر فى آثار زعيمها ثقةً به وتسليماً لهُ ، ورجتْ لحكيمها الشيخ أن يرتدَّ إليها باستقلالها التام ...

كان هذا ولا يدرى أحدٌ كيف كان !!

ولكن بقيتْ فى مصر والسودان بقيّة لم تزلْ تسمع صدَى كلماتِ الفتى الأوّل ، فهبَّت تصرُخ فى وجه الشعب المطالب بالاستقلال التام ! ! حذَار حذار ، وألحّت فى صراخها ولكن مات صوتها فى دوىّ الأصوات الطالبة بالاستقلال التام ! وفى موْج الجماهير ، وفى أزيز الرصاص وهديره وقصفه . وأخيراً وقف رجلٌ يسخر من كلمة مصر الخالدة : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » سُخريةً لاذعة ملفّفة فى ثوب الدُّعابة المحبَّبة إلى هذا الشعب منذ قديم الأزمان ، والذى يُداعبُ ويحب الدُّعابة ولا ينساها وهو فى حبل الشنقة ، أو فى سياقِ الموت . وكانت هذه الدُّعابة أفْعَل من رصاص بريطانيا وحِرابها ونذالتها جميعاً فى قتل كلمة مصر والسودان : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، حتى صار من يقولُ بها ممدوداً عند أصحاب العصبيات الجاهلية فى عداد المجانين والموسوسين والبُلهِ واللاحيس .

نعم كان ذلك ولكن لا ندرى كيف كان !!

ولكن بقى شىءٌ واحدٌ جهلته بريطانيا وجواسيسُها ، وجهله كل مِفراحٍ طيَّاش من أصحاب العصبيات الجاهلية التى غلبت على قلوبهم وأعمت أعينهم . ذلك الشىء الواحد هو أن المفاوضات ظلّت تجرى منذ بدأت إلى أن كانت سنة ١٩٣٦ ، والشعب يتبَعُ المفاوضة بقلبه عسى أن يرجع إليه الرجال المفاوضون بحقّ مصر كاملا غير منقوص ، وهو من ورائهم يدفعهم دفعاً رجاء أن ينفعهم ذلك فينتفع بنفعهم . ولكن ... ولكن مرة أخرى وفى الثالثة كان الشعب يفعل ذلك مجتمعاً ، فلو سألتَ كل رجل وكل أنثى وكل طفل أيضاً : « هل ترجو من وراء هذه المفاوضات خيراً ؟ » فهو قائل لك : « يا سيدى ، ياما جرّبْنا » ثم يمضى لشأنه يائساً تكادُ دماؤه التى تجرى فى عروقه تبكى من الحسرات التى تقطّع قلبه وتنهش ضمير حياته !

هكذا كانت مصر والسودان برغم المفاوضات الدائرة ، وبرغم مطالبة الشعب مجتمعاً أحياناً بهذه المفاوضة . كانت الدّماء تجرى فى الأبدان المصرية السودانية وتُهَبْهِم وتدمدمُ ، ولكن الرجُل الذى يفهم معنى هذه الهمهمة الخفيّة لم يكنْ موجوداً ، وهى لا تستطيع العبارة عن نَفْسها بلسان ناطقٍ مبين : وبقينا جميعاً ننظُر ، لأن عبارة أمثالنا لن تؤدّى إلى شىء ، إذ لم يكن لأحدٍ يومئذٍ من قوة الاستجابة لنداء الدم المصرى السودانى ، ولا من استعداد الأبدان والعقول التى تجرى فيها هذه الدماء ، ما يجعَل لكلمة مصر الخالدة « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » صدًى يتردّدُ فيستجيب له الوادى كُلّه كما استجاب للفتى الأوّل مصطفى كامل ، وبقيت الأبدانُ العاقِلَةُ (والتى هى الشعب بأفراده) فى ناحية ، والدّم الذى يجرى فى هذه الأبدان نفسها فى ناحيةٍ أخرى — وجعلَ الله بأسنَا بيننَا ، فكانت إرادة الله ولا رادّ لما أراد .

ثم كان شىءٌ ونحن ندرى كيف كان .

فقد سكنتْ زمجرة المدافع ، وعجيج القنابل الذرية ، وقامَ رجالٌ يريدون مفاوضة بريطانيا ، ولكنهم لم يلبثوا إلاّ قليلاً حتى سمعوا صوت الدّمِ المصرى السودانى ينطقُ من كُلّ ناحيةٍ « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » فتمّت المعجزة التى كان كل امرىء يترقّبها ، وكان لمصر والسودان النّصر بعد الهزيمة المنكرة الأولى ، وظهرت كلمةُ الحقّ حتى صار أكفرُ الناس بها هو أشدّهم إيماناً ، وأجودَهم فى سبيلها بروحه وحياته ، وعادت مِصْر

مقالة بلا موضوع !

للاستاذ علي الطنطاوي

قال لي من أيام صديق لي : أتسمع ؟

قلت : وهل تحسبني أصم ؟

قال : إن كتابتك لا تعجبني .

قلت : آسف جداً !

قال : لا تسخر . سلني ، لماذا ؟

قلت : سألتك .

قال : لأنك لا تعرف الدنيا ... لذلك تجيء كتابتك بعيدة عن الحقيقة ، خالية من الصور ، ليس فيها حياة ، ولا ابتكار .

قلت : إن ناساً قد زعموا لي غير ما قلت .

قال : هو ما أقول لك ، فلا تصدقهم ، إنهم يضحكون عليك إني ألحظ من كتابتك أنك تعيش منطوياً على نفسك ، بعيداً عن الدنيا ، فقل لي ، بالله عليك ، كيف كنت تعيش في دمشق ؟

قلت : كما يعيش الناس ؛ أغدو على محكمتي صباحاً وأخرج منها ظهراً ، فأمر على المكتبة العربية وهي من أحب الأمكنة إليّ ، وأصحابها إخوان كرام عليّ ، فألبث فيها ساعة ، وقد أتغدى فيها ، ثم أمضي إلى الدار فلا أفارقها إلى غداة الغد ، إلا مرات معدودة في السنة كلها أزور فيها صديقاً أو قريباً ، أو أخطب في حفلة ، وقد كنت قبل أن ألي القضاء أجلس أحياناً في قهوة ، أو أمضي إلى سينما ، فتركت ذلك كله .

قال : وفي مصر ؟ كيف تعيش ومن زرت وماذا رأيت ؟

قلت : أعيش أنا وأسرتي في منزل خالي ، وأمضي إلى « الرسالة » كل يوم ، وإلى الوزارة أو المحكمة أو المجلس الحسبي في أكثر الأيام . وأنا في مصر كما كنت في الشام ، معتزل متفرد أفرّ من لقاء الناس ، وأنأى عن المجامع ، ولم أزر أحداً في داره إلا نفراً من علماء الأزهر ، وزرت لجنة التأليف والترجمة مرة ، وجلست مرة واحدة في القهوة ، وخمساً في السينما ، رأيت في إحداها (فلماً) عربياً فخرجت منه غضبان أسفاً ، ورأيت في سائرها أفلاماً فرنجية ، ومشيت إلى الحدائق والمتاحف ولولا الصغار ما مشيت إليها ؛ فقد وجدت الحدائق ، مجمع غيد ودار مواعيد ، ورأيت الناس في حديقة الحيوانات ، ينظرون إلى امرأة مضطجعة على المقعد أكثر ما ينظرون إلى سبع البحر ، ويضحكون لفتيات يلعبن على الحشيش أكثر مما يضحكون للقردة تتراقص في الأقفاص ...

قال : وهذا كل شيء ؟

قلت : نعم . لا شيء فوقه ولا تحته .

والسودان إلى حقيقتها المستكنة في سرّ القلوب والدماء والأحشاء ! « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » : كلمة حكيمة صريحة قوية ، ظاهرة المعنى ، بينة الطريق ، كريمة المنبت لأنها بنت مصر والسودان — لا يسخرُ بها بعد اليوم أحدٌ إلا كان دمُه هو أول من يسخرُ منه ويزدريه ويلعنه ويبرأ من الانتساب إليه .

هذا ما كان من أمر المفاوضات بيننا وبين بريطانيا ، فليفهمه من شاء كما شاء . وليقُل أصحاب الغرور المتغطرس ، وليقل أشياعُهم من المضللين : هذا شعرٌ ، وهذه عاطفةٌ ، ولكنها ليستْ بحقيقة معقولة أو تحليل متزنٍ . ونقول : نعم ! إذا شئتم ، ولكنّ الشعوبَ هي العواطف أولاً ، وعواطف الشعوب أصدقُ حُكماً من عقول السياسة !

وأخيراً ، ليعلم من لم يكن يعلَم من المتغطرسين أو من الساسة العقلاء الذين أظلّتهم سماء مصر ، أن دم الشعب قد نطقَ بالكلمة التحرّيرة فيه ، وأجمعَ عليها ، وكتبَ على نَفسه أن يَنفي الخبثَ عن مصر والسودان . ومعنى ذلك أنّ كل من خرج على إجماعه فقد خانَ وادي النيل خيانة عُظمى ، وأنّه رهنٌ بالقِصاص ، وأن قصاصَ الشعوب أبقى على وجه الدهر من قصاص الحكومات .

والكلمة الآن لمصر والسودان ، لا لفلان الزعيم ولا لفلان السياسيّ — فمن شاء أن يخالف عن كلمة مصر والسودان فليتقدّم ، ولينظر ما هو لاق في غد أو بعد غدٍ .

محمود محمد شاكر

قال : ألم أقل لك ، إنك لا تعرف الدنيا ؟

قلت : فكيف تريد أن أعرفها ؟

قال : كما يعرفها كل أدباء العالم ، وذلك ... ولكن قل لى أولا ، هل تحب ؟

قلت : أحب ؟ نعم . وهل فى الدنيا من لا يحب ؟

قال : تحب من ؟

قلت : أحب أولادى ، وأهلى ، وإخوتى ، وعمتى ...

فصاح : لا لا ، ما هذا أعنى . هل أنت عاشق ؟ إذن يجب أن تعشق ، إنه لا شىء كالعشق يصب الحياة فى الأدب .

قلت : هل تريد أن أختار فتاة من الطريق فأعشقها ؟

قال : من الطريق ، من الشباك ، من السينما ، المهم أن تعشق .

قلت : ويكفى هذا لتعجبك كتابتى ، وترى فيها حياة ؟

قال : نعم .

قلت : سهلة ، سأعملها غداً ؛ أحلق ، وألبس أحسن ثيابى ، وإن لم يكن عندى ، والكلام بيننا ، إلا ثوب واحد ، ألبسه كل يوم ، وأقف فى ... أين يقفون عادة ؟ فى شارع عماد الدين مثلا ، ثم أختار أجمل امرأة تمر بى ، فأقول لها : العفو ياست ، أو يامدموازيل ، كما تقولون فى مصر ، كلمة من فضلك . فتقول : ماذا ؟ فأقول : أنا كاتب يكتب مقالات مريضة ، وقد وصف لى أطباء الأدب ، أن أحب لتصح مقالاتى ، فهل تأذنين لى أن أحبك ؟

قال : أنا لا أحب الهزل .

قلت : تحب الجد ؟ إذن قل لى ، ماذا بعد الحب ؟ أى بعد الموعد واللقاء ؟ ماذا تكون النتيجة على رجل متزوج له أولاد ، وعلى امرأة لا يمكن أن تكون عجوزاً ولا كهلة ما تكون إلا فتاة غريرة ، أو عذراء بكراً ، لم يطوّح بها الاحتياج والفقر ، ولكن هذه المدنية الملعونة ، وهذا السفور والاختلاط ؟ أيساوى ما أفقده من شرفى ودينى ، وما تضيعه من عفافها ومستقبلها ، المقالات التى أكتبها يومئذ حيّة مشتعلة ؟ وهل تكون تلك المقالات إلا جريمة ثانية لأنها تدعو إلى مثل هذا الحب ؟

قال : إنك تتكلم بلسان العصر الماضى ، إنا لن نرجع إلى الوراء ، فلا تحاول المستحيل ، هذه هى دنيا اليوم ، ولا بد أن أريكها ؛ فقم معى .

قلت : إلى أين ؟

قال : لا تسأل : امش حيث أقودك .

قلت : بشرط أن لا تدخلنى خمارة ولا ماخوراً ولا مرقصاً ، ولا مجمعاً فيه نساء سوافر .

قال : فكيف إذن ترى الدنيا ؟

قلت : وليست الدنيا إلا هناك ؟ هذه دنيا الرجس ...

قال : ينبغى أن يرى الأديب كل شىء .

قلت : إننا تعلمنا من مشايخنا الرجعيين ، أسلوب الدعوة إلى الله ، وكيف تكون بالحكمة والتدريج لا تكون طفرة ، فلماذا لا تمشون يا أيها المجددون على هذه الحكمة فى الدعوة إلى ... إلى ... رؤية الدنيا ؟ !

قال : طيب ، آخذك اليوم إلى أمكنة لا تفكرها ولا تأباها

فضحكت وقلت : ثم تمشى بى خطوة بعد خطوة ، حتى تبلغ بى حيث تريد . هذه هى الحكمة .

قال : هيا بنا ، على أن لا تنفق شيئاً ، أنت فى ضيافتى .

وأركبنى سيارة ، وسلكت بنا شوارع على النيل ، رأينا فيها أزواجاً من الناس ، أزواجاً فى العدد لا بعقد المأذون الشرعى فقال لى : ترى هؤلاء ؟

قلت : نعم .

قال : مثل هذا يفتح قريحة الأديب حتى تتدفق بالشعر الحىّ الذى يهز القلوب من قراراتها ، فهل أمتع من هذا ؟ جمال الطبيعة وجمال الحب ...

قلت : والحكومة ترى هذا ولا تمنعه ! والعلماء يبصرونه ولا ينكرونه ! والآباء ...

قال : علماء إيه ؟ وبتاع إيه ؟ إنت فين يا أخى ؟

ومشينا ، ومر بى على قصور شامخات ، فسماها ووصف لى ما يجرى فيها ، من دَفق الذهب على موائد اليسر ، وخنق الأعراض فى سرر الشهوات ، وحرق الأكباد بكؤوس الشراب ، ثم قال لى فجأة : هل تعرف الرقص ؟

قلت : لا ، ولم أحضر فى عمرى حفلة رقص ، ولم أر راقصة إلا فى السينما يوم كنت أدخلها

فصفّق كفاً بكف ، وأبدى الرثاء لى والشفقة علىّ ، وقال بلهجة المؤدب الناصح ، للمريد الطائش :

يجب أن تتعلم الرقص ، إن له فى مصر مدارس خاصة ، وإنك تلقى فيها من يلزمك الحب إلزاماً ...

قلت : وهل الرقص إلا الفاحشة المستترة ، كالسم يوضع فى علب الحلوى ؟

فقال متحمساً : لا . أبداً . من قال هذا ؟

قلت : أنا .

قال : هذه أفكار المتأخرين الجامدين .

قلت : وما هى أفكار المتقدمين المائعين ؟

قال : ثق أننا لا نفكر أبداً عند الرقص إلا فى الرياضة والموسيقى ...

قلت : ألست تعانق فتاة غريبة عنك ، يكاد يمس وجهك وجهها ، وصدرك صدرها ، و ... أعنى ألست تحتضنها ؟

قال : وماذا فى ذلك ؟ لماذا لا تنظرون إلا إلى الناحية البهيمية ؟ هذا فنّ !

قلت : وكشف أفخاذ بنات المدارس للرياضة فن ، وتجردهن للسباحة فن ، وجلب الفتاة العارية ليصورها طلاب مدرسة الفنون الجميلة فن ، إن كلمة الفن اليوم مرادفة لكلمة الفجور عند أجدادنا الأولين .

وانتهى الطريق فنزلنا من السيارة ، وقلت :

أشكرك . السلام عليكم .

قال : إلى أين ؟ إننا سنتعشى ثم نبدأ سهرتنا .

قلت : نبدأ ؟ صارت الساعة التاسعة !

قال : وماله ؟

قلت : نتعشى فى البيت ونعود .

قال : دعك من البيت ، إنا اتفقنا على أن أريك الدنيا .

قلت : وهل البيت فى الآخرة ؟

فأصرّ فعلمت أن العشاء فى السوق من شرائط رؤية الدنيا إجادة الكتابة ، فقبلت ومشينا .

قلت : إنى أعرف (مطعما) جيد الطبخ .

قال : أى مطعم ؟

قلت : الحاتى .

قال : الحاتى ؟ ! تعال أرك الدنيا . امش . امش ...

قلت : وأين الدنيا ؟

قال : ... ...

وسمى أسماء نسيتها .

وأدخلنى واحداً من هذه المطاعم ، فرأيت مكاناً مزدحماً ، وسقفاً واطياً ، وهواء ثقيلا ، ودخاناً مطبقاً ، وضجة مرهقة ، وموائد ملتصقة ، ثم جاءنا النادل فكلمته بالعربية ، فلوى شدقه استكباراً ولم يفهم ولم يجب ، فكلمه صاحبى بلغة لا أعرفها ، فجاءنا بطعام أدعو الله أن لا يطعمه مؤمناً ، إلا إذا عذبه به فى الدنيا تكفيراً لذنبه ، وتخليصاً له من عذاب الآخرة ، طعاماً خبيثاً ، وشيئاً كالضفادع والسراطين وعقارب البحر ودود البر ، وحشرات الجو ، وشيئاً لزجاً كأنه مرهم الزنك مخلوطاً بالاكتيول فرفعت يدى عنه ولم أمسه ، وأكل صاحبى بشماله ، لأن من العيب كما فهمت أن يأكل باليمين ... واستعمل ملاعق وأشوكا وسكاكين كباراً وصغاراً تسلح عصابة كاملة ... ثم جاء النادل بزجاجة فتحها له ، قرأت عليها اسم خمرة من الخمور ، فالتفت فإذا الذى نحن فيه خمارة ، فغضبت وقمت ، وقلت :

أما إذا بلغ الأمر مبلغه ، فاعلم أنى أمزح معك ، وأتسلى بصحبتك ، وما أحب أن تعتد الزحمة أكثر من هذا ، ولله علىّ أن لا أصحبك بعد اليوم

ورأيته قبل أن أنصرف ، قد دفع ثمن عشائه وزجاجته تسعين قرشاً ، أطعم مثلها أسرتى كلها يوماً كاملا .

وعدت إلى الدار ، فتلقانى أهله بالمودة والبشر ، وأسرع الأولاد وتعلقوا بى ، فأحسست إذ أبصرت دعة المنزل ، ونعمة الأهل ، وسعادة الفضيلة ، ولذة الاستقرار ، بمثل ما تشعر به السمكة تلقى فى الماء ، بعد أن أشرفت على الاختناق .

هذا وما مشينا إلا خطوة واحدة من الطريق ، وما رأيت إلا المطعم ، فكيف لو أكملت الطريق ورأيت الدنيا ؟ !

لا . لا أريد هذه (الدنيا) ، خلّيتها لكم ، فاسرحوا فيها وحدكم وامرحوا ، لا أريدها ، حسبى دنياى ، فهى خير لى وأجدى علىّ ، ولو لم يكن فيها إلا راحة الأعصاب ، وهدوء البال ، وصحة الجسم ، لكان ذلك مرغباً لى فيها ، صارفاً لى عما سواها ، فكيف ومع ذلك كله تقدير الناس ، ورضا الله ؟

أما الأدب فإن كان لا يعجب الناس منه إلا ما يجىء بسهر الليالى ، وذرع الطرقات ، وسكنى المراقص ، وإغراء الغيد بالفواحش ، وسلوك طريق جهنم ، فإن أهون شىء علىّ أن أهجره وأن أطلق الكتابة ثلاثاً ، ثم لا أعود إليها ، ولا أقبل عليها ، وأن أنام بعد مستريحاً خلىّ القلب فارغ الذهن ، إذ لم أخسر بتركها شيئاً ولا خسر القراء !

على الطنطاوى

صـــــورتان للخير والشر

للأســـتاذ عبد المنعم خلاف

رجلان ...

أحدهما ملك كريم هبط إلى الأرض بروح السماء ، وسيصعد إلى السماء بمكرمات الأرض ...

وثانيهما روح خبيث صعد من الطين كأنه فقاعة من غاز عفن ! أو كأنه بثرة ذات قيح وصديد في وجه مجدور ... ، ثم عاد وسفل في الطين وأبى الارتفاع ، وسيكون مرجعه إلى عالمه ، عالم نجاسات الأرض ...

وقد رأيتهما في مكان واحد في وقت واحد ، فرأيت الضدين الأبديين الخالدين تصطرع روحهما على روحي ، فكانت محنة هي محنة العيش بين المتناقضين كمحنة الحديد يوقد عليه في النار ثم (يُطَسُّ) في ماء مثلوج ...

أولهما له وجه أصيل الحسن والسماحة عميق المعاني الإنسانية ، يأخذك إلى رحاب الوضوح التفاؤل والحب العميق للخير ، ويدعوك إلى تصديق ما أنت به دعوات السلام والحب والبر ، وله عينان كأنهما منبعا نور وصفاء يغسلك بأشعته ويطهرك وينير لك سبل الحياة .

والثاني له وجه عميق القبح ممسوخ المعاني ، رآه مرة أحد أرباب الصفاء والنفاذ فقال : إنه وجه غادر ... وله عينان كأنهما جُبَّان جفّ فيهما الماء وسكن الظلام وانطلقت الحشرات ، فهما يغمران قلبك بالظلام والوحشة ، ويأخذان فكرك وخيالك إلى أودية التشاؤم والكراهية للانسانية ، ويوحيان إليك أن كل ما تقرأ عن عالم الخير والسلام وهم واهمين وغفلة غافلين بلهاء ...

وللأول يد تفيض بالخير فيضاً ولا تحبسه عن أحد ، وتعطي الناس مستحقين وغير مستحقين ، وتمسح الجراح والآلام ، وترتق الفتوق وتسد الثغور وتسند الذي يريد أن ينهار وتشير دائماً إلى منطقة النجاة والسلام كأنها علامة إرشاد منصوبة على طريق الإنسانية ...

وللثاني يد كأنها ناب ذئبة جائعة ذات أجراء صغيرة ، فهي تختطف لنفسها ولأجرائها قلوب الناس وأكبادهم أو كأنها فم قبر مخروق يأخذ ولا يعطي إلا الثكل والفقد ...

الأول عظيم بالطبع ، عظيم بالوضع ، يتوجّهُ مجد الفعال العظيمة والمكرمات الخالدة ، ولكنه يتواضع حتى يحس محدثه ومجالسه أنه أمام رحمة مجسمة خلقت إنساناً ...

والثاني لا يحملك وجهه وعمله على إعطائه ما يليق بآدمي من احترام وانقناس ، وإنما تجفُل لمرآه أول ما تقع على عينك ظلاله وعلى وعيك أعماله ، ولا يحملك ما يحاول أن يحيط به من زينة الثياب والرياش والأثاث البراق إلا على مقارنة قبح ذاته وصفاته بجمال ما يحيط به من الأثاث الجامد !

***

هذا الأول أسدى لنفسي معاني كثيرة من الخير ، وما تملك نفسي إلا أن تسدي إليه الحب وتسجيل الذكر وتخليد الصورة في مثل هذه المناسبة ، لأنه مرتفع عن مستوى الحاجة ... وذاك الثاني أسدى لنفسي شراً كثيراً ، وأقل ما أسديت إليه أنني كنت التمس المعاذير لقبح خلقه وهوان شأنه على معاشريه ، وكنت أغضي عن ذلك رحمة له إذ لم يخلق نفسه ، وأنا أرحم القبيح ولكن لا أهواه كابن المعتز . ومع ذلك فقد كان حقه مني أعظم مما مع غيري ...

وتسأله لماذا يا فلان ؟ فيخرس لسانه ويجيب وجهه بتعليل الطبع السائر على نهجه ... ولقد أجاب لسانه مرة حين قلت له : إنني لا أطيق الشر فهلم معي إلى الخير ... فقال : لن تستطيع أن تغير ما في القلوب بالأقوال ...

فكانت هذه هي حكمته الوحيدة الخالدة ...

هذا النوع من الناس هو الذي قد يحملك على جحود الخير والإيمان بالشر ، إذ يحيل قلبك من هدوئه واطمئنانه إلى الثورة والتشكك واعتناق الشر وتحطيم المثل العليا ، أو أنه على الأقل يجعلك تعتقد أن الشر عريق في الوجود عراقة الخير ، كأنهما مخلوقان لإلهين مختلفين يحتربان ويصطرعان على تسيير دفة الدنيا ، يديرها أحدهما إلى الأبيض ويديرها الآخر إلى الأسود . فيجب أن تطيع الثاني كالأول ويتسع قلبك له وتطاوع شيطانك فيه

تفسير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها في فينا

للأستاذ محمد جمال الدين حسن

بعض الفروض التمهيدية وطريقة التفسير :

كان العلماء إلى ما قبل ظهور علم التحليل النفسي يفسرون الحلم على أنه ظاهرة جسمية تنشأ عن اضطراب في المعدة أو ما شابه ذلك من مؤثرات عضوية . أما نحن فسنفرض أن الحلم ظاهرة عقلية لا جسمية . وقد لا يكون لهذا الفرض ما يبرره ، ولكن ليس هناك ما يمنعه أيضاً ، فالحلم إذا كان ظاهرة جسمية لا يهمنا في شيء ولكنه يكون ذا فائدة لنا إذا كان ظاهرة عقلية . وعلى هذا فسنسلم بصحة هذا الفرض وسنرى من النتائج التي سنصل إليها إن كنا على خطأ أم على صواب . والآن ما هو الغرض من هذا البحث وإلى أي غاية نوجه هذه الجهود ؟ إن غرضنا هو الغرض من كل بحث علمي ، أي الوصول إلى دراسة واضحة للظواهر الطبيعية وتكوين علاقة بينها وإخضاعها لسلطتنا على قدر الأمكان .

وهلم بنا فسنواصل بحثنا على فرض أن الأحلام ظاهرة عقلية ، ومعنى هذا أنها خيالات رآها الحالم أو كلمات تفوه بها أثناء النوم ولكنها لا تدلنا على شيء ولا نستطيع أن نفهم لها معنى .

لنفرض أني تفوهت أمامكم بكلام غير مفهوم فماذا أنتم صانعون ؟ ألا تسألونني الأيضاح عما أريد ؟ أظن هذا هو الحل المعقول . فلم إذاً لا نتبع نفس الطريقة فنسأل الحالم عن معنى حلمه ؟

تذكرون أننا سبق أن وجدنا أنفسنا في مثل هذا الوضع[1] عند ما كنا نبحث في زلات اللسان ، وقد بينت لكم أنه يجب

(١) يشير فرويد إلى المحاضرات التي ألقاها عن «سيكلوجية الأحلام» وفي بين فيها أن زلات القلم واللسان ليست في الواقع هفوات تصدر عن الإنسان لا معنى لها وإنما هي حالات عقلية تنشأ عن عوامل نفسية مختلفة يمكن الوصول إليها بالتحليل النفساني .

بحيث لا يحدك ضمير ولا وجدان ساعة بُحران الشر واحتدام الضغينة فلكل وقت ، فكن للشر بقلبك كما تكون للخير بقلبك!

هكذا يسمم هذا النوع من الناس نفسك بشرّة نفسه ، كما يسمم الثعبان دمك بلسعة نابه ومسموم لعابه ، فلا تملك إلا أن تقيء وتهذي وتتلوى وتأتي بالحماقات والشناعات ...

إنه يجذبك من عالم أحلامك السعيدة العليا إلى الحضيض الذي تتمرغ فيه وتتقلب عليه مع بنات الطين والظلام ...

إنه بوق الشيطان ينفخ فيه على أفاعي الشر والضغينة في الحجرات المظلمة من نفسك كلما أوشكت أن تموت ؛ لتحيا دائماً معك لأنها أعظم جنوده التي أرصدها لحرب ذلك الطفل العبقري الوديع : الحب !

وإن هذه الأفاعي إذا صحت ونشطت فلن تأكل في الحقيقة إلا فلذات قلبك ولن تشرب إلا دمك ... ولقد جعلت من الذين أوسعوا لها من صدورهم مسموى الإدراك مطموس الإحساس بجمال الوجود ولذة الحب والرحمة .

إنها كريهة الذيب مغتالة لأمضل ما في النفس ، مثيرة للدم الأسود المحموم .

إن الشر يجب ألا يكون إلا لدفع الشر الذي لا يُدفَعُ بالخير . فيجب على القديس الحليم أن يكون عنيفاً شديداً مع الذين لا يرون المثل الأعلى إلا في الشر والعنف ... أما أن يتخذ ذخيرة وغذاء تجتره النفس انسياقاً مع الغرائز القديمة ، واستجابة للوحش الذي فينا ، وتنمية لنوازعه وتنقيباً عن سفالاته المطمورة فذلك هو الهدم لدعائم الحضارة والارتداد والانتكاس إلى الوحشية التي تطمس الآفاق التي رأتها الإنسانية على ضوء السكينة النفسية والحب المتبادل .

فلْيُعِنِ اللهُ محبي الخير على الحرب الدائرة بينهم وبين هذه النفوس العريقة في عالم الأذى ...

وليحفظ رقة الخير وضعفه بين الشرور كما يحفظ حرير الورد من جوار الأشواك المسنونة المُشْرعةَ التي تهدده دائماً بالتمزق وتؤذي من يريد أن ينعم به نعمة خالصة .

عبد المنعم خلوف

علينا فى هذه الحالة أن نسأل صاحب الزلة عما يقصده أو ما كان يفكر فيه حتى نستطيع أن نصل إلى الدوافع الخفية التى دفعته إلى ارتكاب هذه الزلة ، كما بينت لكم أن التحليل النفسى مبنى كله على هذه الطريقة ، أى ترك الشخص الذى نحلله يجيب بنفسه على مشاكله . وعلى هذا فالحالم يجب عليه أن يفسر لنا حلمه بنفسه

ولكن الأمر ليس هنا بالسهولة التى نظن ، ففى حالة الزلات كانت هذه الطريقة تنجح فى كثير من الأحيان ، ولكن فى أحيان أخرى كان الشخص المستجوب يرفض الإجابة عن شىء بل كان يرفض الجواب الذى نقترحه عليه من استنتاجاتنا فى غيظ وحنق . أما فى حالة الأحلام فليس هناك أمثلة من النوع الأول ، فالحالم دائماً يقول إنه لا يعلم شيئاً عن حلمه ، وهو لا يستطيع أن يرفض تفسيرنا لأنه ليس لدينا ما نقدمه له . فما دام لا يعلم شيئاً ونحن لا نعلم شيئاً ومن المؤكد أن شخصاً ثالثاً لا يعلم شيئاً كذلك ، فلا مطمع لنا إذاً فى الوصول إلى حل موفق . أعلينا عندئذ أن نقلع عن هذه المحاولة ونقر بعجزنا ؟ إذا كان منكم من يرغب فى ذلك فليفعل . أما إذا كنتم راغبين فى مواصلة البحث فى استطاعتكم أن تتبعونى فسأريكم أن الشخص الحالم فى الواقع يعلم معنى حلمه ولكنه لايدرى أنه يعلم وعلى هذا يظن أنه لايعلم

أظن أنه من المحتمل أن تلفتوا نظرى عند هذه النقطة إلى أننى قد عدت إلى تقديم فرض آخر ولما يمض على تقديمى الفرض الأول وقت طويل ، وأننى بعملى هذا قد بعدت عن جادة الصواب ودقة البحث ولكنى أوجه نظركم إلى أنى لم أجىء هنا لأتظاهر أمامكم بالشعوذة فأقدم إليكم حقائق سهلة مستساغة بينما أخفى عنكم الصعوبات والشكوك حتى تطمئن نفوسكم إلى أنكم قد تعلمتم شيئاً جديداً . وعلى هذا أقول لكم إنى فعلا قد فرضت فرضين متداخلين فمن يجد منكم فى هذا مشقة أو عدم دقة فما عليه إلا أن يتركنا فى خير . ولكنى أوجه نظركم إلى أن هذين الفرضين ليسا على درجة واحدة من الأهمية . فأحدهما وهو القائل بأن الأحلام ظاهرة عقلية هو الفرض الذى نأمل فى إثباته عن طريق النتائج التى سنصل إليها . أما الفرض الآخر فقد سبق إثباته فى مجال مختلف وأنا فى الواقع لم أعمل أكثر من أن سمحت لنفسى باستعادته فى بحثنا هذا . وهذا المجال المختلف الذى أقصده هو التنويم المغناطيسى فقد شاهدت برنهيم (Bernheim) عام ١٨٨٩ فى نانسى وهو يقوم بتجاربه على رجل من المدينة نومه تنويماً مغناطيسياً ، وعند ما استيقظ الرجل بدا لأول وهلة أنه لا يدرى شيئاً عما قام به أثناء النوم وقد ادعى أنه لا يستطيع أن يتذكر شيئاً ، غير أن برنهيم ألح عليه فى السؤال مؤكداً له أنه يعلم كل شىء وأنه لو أجهد نفسه قليلا لاستطاع أن يتذكر كل ما حدث له . وما كان أشد دهشتنا عند ما بدأ الرجل فعلا يتذكر شيئاً فشيئاً بعض ما حدث له أثناء النوم ، وكلما تذكر شيئاً اشتدت ذاكرته فتذكر أشياء أخرى حتى استطاع فى النهاية أن يتذكر بالضبط كل ما قام به وهو نائم . ألا يصح لنا إذاً أن نستنتج من هذا أن هذه الذكريات كانت فى عقله من مبدأ الأمر ولكنها كانت فقط صعبة المنال ؟ فهو لم يكن يدرى أنه يعلم بها ولكنه كان يعتقد أنه يجهلها . وهو فى هذه الحالة يشبه الشخص الحالم تمام الشبه . والواقع أن هناك علاقة واضحة بين التنويم المغناطيسى والنوم الذى هو شرط أساسى للحلم . فالتنويم المغناطيسى يطلق عليه فعلا النوم الصناعى ، فنحن نقول للشخص الذى نريد أن ننومه مغناطيسياً : « نم ! » وما نوعز به إليه وهو نائم يمكن مقارنته بالأحلام فى حالة النوم الطبيعى . فالحالة العقلية واحدة فى الاثنين ، فكما أننا فى النوم الطبيعى نقطع كل صلة تربطنا بالعالم الخارجى ، فكذلك نفعل فى حالة التنويم المغناطيسى فيما عدا الشخص الذى يقوم بتنويمنا والذى نبقى معلقين به .

أظن من الممكن الآن أن نعود إلى عملنا ونحن أكثر ثقة من ذى قبل . رأينا إذاً أن من المحتمل جداً أن الحالم يعلم شيئاً عن حلمه ، ولكن المسألة هى كيف يمكننا أن نسهل له الوقوف على هذه المعلومات وإعطائها إيانا ؟ الطريقة التى سنتبعها هى أن نسأل الحالم عن معنى حلمه وكيف حلم هذا الحلم ، والكلمات التى يجيب بها يجب أن تؤخذ على أنها الأيضاح المطلوب بغض النظر عن كونه يظن أنه يعلم أو لا يعلم شيئاً عن الحلم .

أظن هذه الطريقة بسيطة جداً ، ولكنى مع هذا أخشى أن تثير غيكم معارضة شديدة فتصيحون : « فرض ثالث ! وهو أبعد احتمالا من سابقيه ! أتعنى أننا إذا سألنا الحالم عن الأفكار التى تتوارد على خاطرنا فأجابنا على الفور فما علينا إلا أن نأخذ إجابته

هذه على أنها الايضاح المطلوب ؟ ولكن من المؤكد أنه قد لا يجد ما يجيب به على الأطلاق أو قد تتوارد على خاطره أفكار يعلم بها الله . إنا لا نستطيع أن نتخيل على أى أساس بنيت هذا الأمل ، فهو فى الحقيقة يتطلب اعتماداً أكثر من اللازم على العناية الإلهية فى الوقت الذى نحن فيه أحوج ما نكون إلى نفاذ البصيرة والمقدرة على النقد . وفضلا عن ذلك فالحلم لا يتكون من عنصر واحد كزلة اللسان ، ولكنه يتكون من عناصر كثيرة ؛ فأذا كان الأمر كذلك ، فعلى أيها يمكننا الاعتماد ؟ » .

أظن أنكم على حق فى جميع النقط الغير أساسية . فالحلم حقاً يختلف عن زلة اللسان من ناحية تركيبه من عناصر كثيرة كما أنه يختلف عنها من نواح أخرى كذلك ، وهذه الاختلافات كلها يجب أن تراعى عند التحليل . ولذا فأنى أقترح عليكم أن نقسم الحلم إلى عناصره المختلفة وأن نختبر كل عنصر على حدة ، وبذا نكون قد أعدنا التشابه الذى بينه وبين زلة اللسان . وأنتم كذلك على حق عند ما تقولون إن الحالم عند ما يستجوب عن عنصر من عناصر حلمه قد يجيب بأنه لا يجد لديه أفكاراً تتعلق به ، وهناك حالات نكتفى فيها بهذا الرد قد أدلكم عليها فيما بعد . أما فى أغلب الأحيان فيجب علينا أن نناقضه وأن نلح عليه فى الجواب مؤكدين له أن لابد من وجود فكرة ما لديه وسنرى أننا كنا على صواب ، فسيبدأ بقوله : « إن هذا يذكرنى بشىء حدث لى منذ وقت قريب ! » أو « إن هذا حدث لى بالأمس ! » وسنرى من هذا أن الأحلام ترتبط ارتباطاً وثيقاً بآثار اليوم السابق . وأخيراً قد يستطيع الحالم إذا اتخذ الحلم نقطة ابتداء أن يصل إلى تذكر حوادث من الماضى البعيد .

أما من حيث النتيجة العامة فأنتم على خطأ . فأذا كنتم تحسبون أن اعتبار الأفكار الأولى التى ترد على خاطر الحالم كجواب عما نسأل عنه مسألة اختيارية بحتة ، وإذا كنتم تحسبون أن هذه الأفكار قد تكون هوائية لا علاقة لها بما نحن فى صدد البحث عنه ، وأنها لا تدل إلا على ثقتى العمياء فى العناية الألهية إذا توقعت شيئاً آخر ... إذا كنتم تحسبون هذا فأنتم على خطأ مبين . وهذا الخطأ راجع إلى الاعتقاد الراسخ فيكم بأن القوى النفسية حرة غير مقيدة فى اختيارها وهذا اعتقاد غير علمى ، لنا يجب على أن أطلب منكم أن تنظروا بعين الاحترام إلى هذه الحقيقة الواقعة : وهى أن فكرة واحدة فقط ولا شىء غيرها هى التى تخطر على بال الحالم عند ما يستجوب عن حلمه .

ولما كانت هذه النقطة على درجة كبيرة من الأهمية ، لذا أسألكم أن تلتفتوا إليها التفاتاً خاصاً . فعند ما أسأل شخصاً عما يخطر على باله بالنسبة لعنصر ما من عناصر حلمه فأن ما أطلبه منه هو أن يستسلم لعملية الترابط المطلق « Frec association » وهذه العملية تحتاج إلى حالة من الانتباه تختلف اختلافاً بيناً عن حالة التروى بل هى فى الواقع تعوقها . وبعض الناس يتهيأ لهذه الحالة فى سهولة ويسر ، والبعض الآخر يلاقى فى ذلك عناء كبيراً وعدم استعداد غير معقول . وقد يحسب المرء أن عملية الترابط المطلق التى تنشأ عند ما نطلب من شخص ما أن يفكر فى اسم خاص أو عدد ما تكون أكثر حرية ويكون لدى الشخصين فرصة أكبر للاختيار ؛ ولكن الواقع أنه يمكن أن نثبت أنه فى كل حالة توجد عوامل عقلية خفية هى التى تحدد نوعى الترابط ، وهذه العوامل تكون مجهولة لدينا فى اللحظة التى تبدأ فيها عملها ، ولتوضيح ذلك أضرب لكم المثل الآتى :—

حدث فى يوم من الأيام بينما كنت أعالج شاباً أن ذكرت له شيئا عن هذا الموضوع وأكدت له أنه على الرغم من الحرية الظاهرة فى الاختيار فى مثل هذه الحالات فأننا فى الحقيقة لا نستطيع أن نفكر فى أى اسم لا يمكن أن نثبت أن الظروف المحيطة بالشخص الذى نقوم معه بالتجربة ، وسجيته والحالة التى كان عليها هى التى تحدد هذا الاسم . ولما كان بطبعه ميالا إلى الشك فقد عرضت عليه أن يقوم بالتجربة فى التو واللحظة . وقد سهلت له الأمر بأن طلبت منه أن يفكر فى اسم امرأة من صاحباته لما كنت أعلم عن علاقاته المتعددة بكثير من الفتيات والنساء . ولكنه لدهشتى ، أو لدهشته على الأصح ، لم يعثر على الفور بسبيل من الأسماء ، وإنما ظل ساكتاً مدة ثم اعترف بأن الإسم الوحيد الذى خطر على باله فى هذه المدة هو ألبين Albine ولكن الأغرب من ذلك أنى عند ما سألته ما علاقتك بهذا الاسم وكم من النساء تعرفت به ؟ أخبرنى أنه لا يعرف أحداً بهذا الاسم وأن لا أفكار لديه يربطها به . وقد يظن المرء أن التجربة قد فشلت ،

ولكن لا ، فقد تم التحليل ولسنا فى حاجة إلى أفكار أخرى . فالشاب نفسه كان أشقر بشكل غريب ، فكنت فى حديثى معه أثناء التحليل أداعبه بقولى له albino (وهو اسم الرجل الأبيض الوجه والشعر) وعلاوة على ذلك فقد كنا فى هذا الوقت منهمكين فى تحليل العنصر النسوى فى طبيعته . وعلى هذا فقد كان هو نفسه هذه « المرأة » التى شغلته فى هذا الوقت أكثر من أى امرأة أخرى

وكذلك الحال فى الألحان التى يترنم بها الأنسان فى أوقات فراغه فقد نستطيع إذا حللناها أن نصل إلى مصدرها ومعرفة الأفكار التى كانت تشغل عقلنا فى هذا الوقت من غير أن نحس بها

فإذا كانت الأفكار الحرة التوارد مقيدة هذا التقييد فإننا نكون على حق إذاً عندما نستنتج أن الأفكار التى تتوارد نتيجة لفكرة محركة (Stimiluo idea) واحدة تكون كذلك مقيدة غير مطلقة . وقد أثبتت التجارب كحقيقة واقعة أنها لا تكون متعلقة بالفكرة المحركة فحسب ، بل إنها كذلك تعتمد على ألوان من التفكير وضروب من المؤثرات القوية (أو العقد كما نسميها) لا نعلم عنها شيئاً فى ذلك الوقت ، أو بعبارة أخرى تعتمد على نشاط لا شعورى .

وقد اتخذ الترابط الذى من هذا النوع أساساً لتجارب عديدة أفادتنا كثيراً ولعبت دوراً ملحوظاً فى تاريخ حركة التحليل النفسى . فمدرسة وندت « Wundt » هى التى ابتكرت طريقة « تجربة الترابط » (association Œxperimeut) وفيها يطلب من الشخص الذى تجرى عليه التجربة أن يجيب على كلمة — محركة (Stimiluo — word) بأسرع ما يمكنه من كلمات رد الفعل (Reaction — words) ، وتلاحظ النقط الآتية أثناء التجربة: وهى الفترة التى تمضى بين النطق بالكلمة — المحركة وكلمات رد الفعل ، وطبيعة هذه الكلمات والأخطاء التى ترتكب عند إعادة التجربة إذا أمكن . أما مدرسة زيورخ تحت رئاسة بلوار وجنج (Bleuler and jung) فقد توصلت إلى تفسير رد الفعل فى تجربة الترابط بأن ثالث الشخص الذى تجرى عليه التجربة أن يلقى قليلاً من الضوء على الأفكار التى تبدو ذات أهمية وذلك بوساطة سلسلة أخرى من الأفكار المترابطة . وقد اتضح من هذه الطريقة أن هذه الردود الغير مألوفة لها اتصال وثيق بالعقد التى فى نفس الشخص . وقد كان هذا الاكتشاف هو الخيط الأول الذى ربط بين علم النفس التجريبى وبين التحليل النفسانى

أظن أنكم بعد سماع هذا الشرح ستقولون : « إننا نسلم معك أن هذه الأفكار المترابطة خاضعة لقيود معينة وليست محض اختيار كما كنا نظن من قبل ، كما أننا نعترف بهذا أيضاً فى حالة الأحلام ولكن ليس هذا ما يعنينا . إنك تقرر أن كل ترابط بعنصر من الحلم له دافع عقلى خفى لا نعلم عنه شيئاً ولكننا لا نستطيع أن نرى أى برهان على ذلك ، حقيقة إننا نتوقع أن تكون الأفكار التى تترابط بعنصر من الحلم ذات صلة وثيقة بالعقد التى فى نفس الحالم ولكن ما هى الفائدة ؟ إن هذا لن يساعدنا البتة فى تفهم معنى الحلم ولكنه يوصلنا فقط إلى بعض المعرفة عن هذه الأشياء المسماة بالعقد ، كما فى حالة تجربة الترابط ، ولكن أى علاقة بين هذه العقد وبين الأحلام ؟ » .

إنكم على حق ولكنكم تغفلون نقطة هامة وهى نفس النقطة التى منعتنى من اتخاذ « تجربة الترابط » نقطة ابتداء لهذا البحث . فنحن فى حالة التجربة أحرار فى اختيار الكلمة — المحركة ، وهى الشىء الوحيد الذى يتوقف عليه رد الفعل ، أما كلمات رد الفعل نفسها فتعمل كوسيط بين الكلمة المحركة والعقدة التى فى نفس الشخص الذى تجرى عليه التجربة . أما فى حالة الحلم فالكلمة المحركة تستبدل بشىء مشتق من حالة الحالم العقلية ، وهذا الشىء ينبع من مناطق مجهولة لديه ، وعلى هذا فمن المحتمل جداً أن يكون هو نفسه « إحدى مشتقات العقدة » فليس من الوهم إذاً أن ندعى أن الأفكار التى تترابط مع عناصر الحلم لم تحددها عقدة أخرى غير العقدة التى كونت هذا العنصر الخاص من الحلم وأنها فى نهاية الأمر ستوصلنا إلى اكتشاف هذه العقدة .

دعونى أضرب لكم مثلا آخر تتبينون منه أن الحقائق كثيراً ما تحقق صدق نظريتنا . وهذا المثل هو نسيان الأسماء المعروفة لدينا ومحاولة تذكرها ، فالذى يحدث فى هذه الحالة يشبه تمام الشبه ما يحدث فى حالة تحليل الأحلام . فلنفرض مثلا أنى نسيت اسماً ما ولكنى أشعر فى قرارة نفسى أنى واثق من معرفته فماذا أفعل ؟ لا شك أنى سأحاول أن أبذل كل جهد مستطاع فى محاولة تذكره ، ولكن التجارب علمتنى أن كثرة التفكير لا تجدى وأن فى استطاعتى دائماً أن أفكر فى اسم آخر أو أسماء عديدة أخرى غير الإسم الذى نسيته فإذا حدث أن خطر على بالى أحد

الأدب فى سير أعلامه :

٧ ـ تولستوى

[قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه]

للأستاذ محمود الخفيف

بين الجد واللهو

ودع تولستوى قازان وفى نفسه أنه ودع اللهو والعبث فما إليهما من عودة ، وبلغ ياسنايا تلك الضيعة المحبوبة وقد زاده محبة لها أنها غدت من نصيبه ، وإنه ليشعر أنه أصبح مسؤولا عنها وعمن يعيش فيها من الناس ؛ ولقد زاد هذا الشعور لا ريب فى نفسه العزم أن يطلق حياة اللعب والعبث ...

ثم إن فكرة تسيطر على لبه اليوم وتملأ جوانب نفسه ، ومؤداها أن يعمل فى جد على إصلاح حال الفلاحين فى الضيعة وما جاورها ، فما يليق به أن يذرهم فيما هم فيه من جهل وبؤس .

وتستمع إليه العمة تاتيانا دهشة مبتسمة فما يخرج الأمر عندها عن أن يكون نزعة جديدة من نزعات الشباب ؛ ولكنه يعود كل يوم إلى هذا الحديث وإنه لأقوى عزماً وأكثر جداً ؛ وإن تفكيره فى هذا الأمر ليصرفه عن القراءة وعن الموسيقى التى أحبها حباً عميقاً خبرته عمته ؛ وإنها لتجلس إلى البيانو تحاول أن تمتعه بلحن مما يحب فما يروعها إلا انصرافه عنها وعن لحنها ليقبل على حديث إصلاح الفلاحين ...

وتعجب عمته ويزداد عجبها إذ تراه يتخذ لنفسه زياً خاصاً به يعتزم أن يلبسه فى كل وقت وفى كل مكان لأنه يظهره فى مظهر الفيلسوف ؛ ولكن الفتى لا يلبث حتى يخلع هذا الرداء ويلقى به لأن أحد الزائرين لم يتمالك نفسه ذات مرة من الضحك من مظهره ، وكره الفتى أن يكون موضع استهزاء ، وهو الذى طالما تأنق وتنبل بالثياب ...

هذه الأسماء طوعاً من تلقاء ذاته فهنا فقط يكون الشبه واضحاً بين هذه الحالة وحالة تحليل الأحلام . فعنصر الحلم كذلك ليس هو ما أبحث عنه وإنما هو عوض عن شيء آخر ، وهذا الشيء الآخر هو ما لا أعرفه وما أسعى إلى اكتشافه عن طريق تحليل الحلم . ما ذا أفعل إذاً لأتذكر الاسم الذى نسيته ؟ إن ما يحدث هو أنى أوجه التفاتى إلى هذا الاسم الذى خطر على بالى عوضاً عن الإسم المنسى ثم أحاول أن أدع أسماء أخرى تتوارد على خاطرى فى ترابط مطلق ، وبهذه الطريقة أستطيع أن أصل فى النهاية إلى الاسم الذى نسيته . ومن المشاهد فى مثل هذه الحالات أنى عندما أتذكر هذا الإسم ألاحظ دائماً أن هناك علاقة بينه وبين الأسماء التى تركتها تخطر على بالى عوضاً عنه . فقد حدث لى مثلا أن حاولت فى يوم ما أن أتذكر اسم القطر الصغير الذى يقع على ضفاف الريفييرا والذى عاصمته « مونتكارلو » ولكنى لم أستطع على الرغم من تأكدى من معرفته . فأخذت أفكر فى كل من أعرف فى هذا القطر وما كان لى فيه من علاقات ولكن بلاجدوى . وأخيراً كففت عن التفكير وتركت أسماء أخرى تتوارد على خاطرى طواعية واختياراً . وقد توالت هذه الأسماء بسرعة وهى مونتكارلو نفسها ثم بيدمون ، ومونتفيدو ، ومونتنجرو ، وكوليكو . وقد لاحظت أن ثلاثة من هذه الأسماء البديلة تحتوى على نفس المقطع « مون » وفى الحال تذكرت الاسم الذى أبحث عنه وهو « مونا كو » ومن هذا ترون أن هذه الأسماء البديلة قد نشأت فعلا عن الاسم المنسى ، فالثلاثة الأسماء الأولى تحتوى على المقطع الأول « مون » والإسم الرابع يحتوى على المقطع الأخير « كو » أما السبب فى هذا النسيان المؤقت فهو أن « مونا كو » هى الاسم لأيطالى « لونيخ » وقد كانت لى ذكريات فى هذه المدينة هى التى وقفت حائلا بينى وبين تذكر الاسم الذى أريد .

وعلى هذا فما هو ممكن فى حالة نسيان الأسماء لابد أن يكون ممكناً كذلك فى حالة تفسير الأحلام فإذا ابتدأنا من العناصر البديلة فأنه لابد أن نصل فى النهاية إلى غرضنا الحقيقى عن طريق سلسلة من الأفكار المترابطة ، كما أنه فى استطاعتنا (كما هو الحال فى نسيان الأسماء) أن نفرض أن هذه الأفكار التى نشأت عن عنصر الحلم لم يحددها هذا العنصر فحسب بل حددتها أيضاً الدوافع اللاشعورية التى أنتجت الحلم . فإن أمكن هذا فإننا نكون بذلك قد قطعنا شوطاً بعيداً فى تبرير طريقتنا فى التفسير . المترجم

(يتبع)

محمد جمال الدين سمره

وما الذى ألقى فى قلب الفتى هـذه الرغبة القوية فى إصلاح حال الفلاحين ؟ أهى مجرد نزعة من نزعات الشباب حقاً ؟ أم هى خيال ألقاه فى نفسه قراءة قصة حديثة تسمى « القرية » ألفها قصصى يدعى جريجوروفتش وصور فيها حياة الفلاحين ، صورة مؤلمة تبعث فى النفوس شعور الرثاء لحالهم ؟ أم أن مرد ذلك إلى عاطفة عرف بها منذ طفولته وهى أنه يحب أن يرى الناس جميعاً حوله سعداء ؟ الحق أن الفتى ما كان ليستطيع أن يرى مظاهر البؤس من حوله ثم لا يتحرك لها قلبه الإنسانى الرحيم ، وكيف كان يطيق أن يسمع فيما سمع أن امرأة قضت نحبها من الجهد ، وأن المرض يفتك بالناس فلا يستطيعون له دفعاً ؛ وكيف كان يطيق أن يرى بعض الفلاحين يخرون على قدميه سجداً يسألونه القوت ؛ لقد كان ذلك يؤلمه أشد الألم أو كما يقول « إن ذلك كان يؤلمنى كما تؤلمنى ذكرى جريمة ارتكبت ولم يكفر عنها » .

على أنه يعجب أشد العجب من إعراض الفلاحين عن إصلاحاته ؛ ويألم إذ يرى فى وجوههم الشك والإنكار والعناد ، وإذ يسمع أنهم يصفون مابنى لهم من أكواخ جديدة بأنها سجون وأنهم يرمون بالمدارس التى افتتحها لأبنائهم والتى كان يعلمهم فيها بنفسه أحياناً ، فعندهم أن هذه المدارس تحرمهم من معاونة أبنائهم إياهم فى أعمال الزراعة ؛ ويقلب تولستوى كفيه حائراً من أمرهم ، وفى نفسه شعور الغضب ومرارة الخيبة ...

ولا يلبث اليأس أن يصرفه عما شرع فيه ، فينصرف عنه مكرهاً لأنه كان شديد التعلق به ، يدلنا على ذلك ما جاء فى قصة كتبها بعد سنوات قليلة ، هى القصة المسماة « صباح أحد الملوك » فقد صور فيها أميراً يحلم بأن يعلم الفلاحين ويسعدهم ويوفر لهم أقواتهم ، ويصلح رذائلهم التى تنجم من الجهل والتعلق بالخرافات ويجعلهم يحبون الهدى والحق ؛ وفى هذه القصة يترك الأمير الجامعة ليعود إلى القرية ويكتب إلى عمته يرغبته فى إصلاح حال الفلاحين فى ضياعه قائلا بعد أن يصف مبلغ بؤسهم : « أليس واجبى الواضح المقدس أن أعنى بحال هذه الأنفس السمحة التى سوف يسألنى الله عنها حساباً ؛ ثم أليس من الإجرام أن أجرى وراء أنماط من اللهو والطمع بينما أدعهم لمشايخ أو رؤساء هم عليهم خشن غلاظ ؟ ولم أبحث فى نواحى أخرى عما عسى أن يظهرنى بمظهر الرجل النافع الخير فى حين أن أمامى هذا الواجب الوضيء النبيل الذى أعرفه من وثوق وخبرة ؟ » .

ولم يكن يدور بخلده أن يجد من الفلاحين هذا الجمود ، فما أشد ما كره ما كان فيه من جد وما أسرع ما أقبل على لهوه وعبثه ، وقد نما إليه أن أخاه سيرجى يعيش مع غجرية مغنية عيشة مطلقة من كل قيد فى ضيعته ؛ فخيب إليه عبث أخيه أن يعود هو كذلك إلى عبثه ، فأقبل على المجون واللعب وأسرف فى ذلك إسرافاً شديداً وبخاصة فى مخالطة النساء مخالطة لا تأثم منها ولا تورع فيها حتى لقد أحدثت آثارها فى بدنه القوى أو كادت ، وحتى لقد عاد الفتى إلى سالف ندمه فانه يكتب فى يومياته فى منتصف شهر يونيو سنة ١٨٤٧ يقول « ما أصعب على من يقع تحت تأثير الشر أن يزيد ما تنطوى عليه نفسه من خير ... هل أبلغ بعد الأمد الذى أجدنى فيه مستقلا عن المؤثرات الخارجية ؟ إن ذلك معناه فى رأيى الوصول إلى كمال عظيم ، حيث أنه فى حال الرجل الذى يتخلص من العوامل الخارجية تسيطر الروح على الجانب المادى منه بالضرورة فيبلغ ما يريد ؛ وسأضع اليوم لنفسى قاعدة جديدة وهى أن الاجتماع بالنساء إن هو إلا شر من شرور المجتمع لا بد منه ، وعلى المرء أن يتجنبه ما استطاع ؛ وممن نتعلم فى الواقع الشهوة والخنوثة والتفاهية فى كل شىء إن لم نتعلمه من النساء ؟ وعلى من نقع تبعة فقداننا تلك المشاعر الفريزية فينا كالشجاعة والمناعة والبأس والتصبر والعدالة إن لم تقع على المرأة ؟ إن المرأة أشد استجابة من الرجل للمؤثرات ، وكانت فى عصور الفضيلة خيراً منا ، ولكنها الآن فى عصر الفساد والرذيلة قد باتت أسوأ منا وأرذل » .

وتلمح إليه العمة تاتيانا ذات يوم بقولها « إنه لا شىء يكون الشاب خيراً مما يكونه ارتباطه بفتاة ذات خلق » ؛ ولكن توثب حيويته وعرامة فتوته وحبه الاستقلال ، كل أولئك يحيل به عن أن يركن إلى ما تقول ...

وسيكبر هذا الفتى وقد ذاق حلو الحياة ومرها فيكون له من ذلك مادة لفنه وسيفيد من لهوه هذا كما يفيد من جده ، فما ينسى شيئاً مما تطالعه به الحياة ، وسوف نرى نظرته هذه إلى المرأة سنة ١٨٤٧ وهو فى التاسعة عشرة ، تتجدد فى قصة يكتبها سنة ١٨٨٩ وهو فى الحادية والستين ، وهى قصة كروتزرسناتا .

لم يعد للفتى أمل فى إصلاح فلاحيه وأحس أنه يقضى أيامه

فى ياسنايا عبثاً فصمم على الرحيل منها ، وفى شهر أكتوبر سنة ١٨٤٨ سافر إلى موسكو حيث قضى ثلاثة أشهر أو أربعة مطلق العنان لا يلويه عن العبث واللهو شىء ، وله من فراغه وشبابه وماله ما يزيد جموحه ويمد فى حبال غوايته ؛ ثم سافر الفتى إلى بطرسبرج فدخل جامعتها ليدرس القانون ثانية ويحصل على درجة علمية تهيئه للالتحاق بوظيفة من الوظائف المدنية .

* * *

وأقبل الفتى على الدراسة فى جد وعزم كأن لم يعرف اللعب يوماً ؛ وكتب إلى أخيه فى فبراير سنة ١٨٤٩ يخبره بما هو فيه من جد ، وينبئه بأنه سيبقى فى بطرسبرج إلى الأبد ؛ ويصف له فى كتابه مبلغ ما للحياة فى هذه المدينة من أثر فى نفسه ، فكل شىء يبعث على الجد والتأب ، وكل امرئ يسعى سعيه حتى لن يجد المرء من يصحبه إلى حياة عابثة ، ولن يستطيع المرء أن يحيا هذه الحياة وحده إلى أن يقول لأخيه « أعلم أنك لن تصدق أنى غيرت ما بنفسى وأنك ستقول إنها المرة العشرون ولكن فى غير جدوى ؛ كلا ... لقد تغيرت الآن ... وفوق ذلك فانى اليوم يداخلنى إحساس بأن المرء لا يستطيع أن يعيش بالنظريات والتفلسف ، ولكنه ينبغى أن يحيا حياة واقعية ، أعنى أنه يجب أن يسلك سلوكا عملياً ... وهذه خطوة واسعة نحو التقدم » .

وفى شهر أبريل يجتاز ليو امتحاناً فى القانون المدنى والقانون الجنائى بتفوق ملحوظ ؛ على أن ذلك لم يكن فى الواقع ثمرة جهد متصل وإنما كان ثمرة أسبوعين استوعب فيهما ما استطاع أن يستوعبه من هاتين المادتين ...

وفى شهر مايو يكتب لأخيه فاذا به يقول فى كتابه « أى سير يوشا ... أتوقع أنك سوف تقول إنى أكثر من عرفت ضعف عزيمة ، ولكى أكون أميناً ، ينبغى أن أقول إن الله يعلم ماذا كنت أفعل هنا ! ... لقد جئت بطرسبرج بغير سبب معين ، ولم أعمل هنا عملا ذا عائدة ، وقصارای أنى أنفقت مالا كثيراً حتى لقد تورطت فى الدين ؛ يالغباء ! وأى غباء ؟ لن تستطيع أن تصدق كيف يؤلمنى ذلك ، وبخاصة تلك الديون التى يجب أن أؤديها بأسرع ما فى وسعى ، وذلك لأننى إن لم أفعل فلست أفقد المال فحسب ، بل أفقد معه شرف سمعتى . أعلم أنك ستضج بالشكوى ، ولكن ماذا عسى أن أصنع ؟ إن الإنسان يقترف مثل هذه الحماقة مرة فى مدى عمره ... وإنى لأركن إلى عطفك إذ أرجو منك أن تتدبر فى إخراجى من هذا الوضع الكريه حيث أجدنى مفلساً يحيط بى الدين من كل جانب » .

ويعتزم الفتى أن يلتحق بالجيش فى فرقة الفرسان متطوعاً فى الحرب ، وأن يترك جامعة بطرسبرج دون أن يتم دراسته فيها كما ترك جامعة قازان من قبل وكانت الحرب التى يريد أن يتطوع فيها هى تلك الحرب الظالمة التى قذفت بها النمسا الأحرار المجاهدين فى المجر ، أولئك البواسل الذين رغبوا فى الاستقلال عنها وردوا جيشها وقد عصفت العواصف بأنحاء الامبراطورية حتى استعانت بالجيش الروسى لجاء لمعونتها خمسون ومائتى ألف من هذا الجيش ، وكانت روسيا تريد أن تطفىء نار الثورة فى المجر حتى لا تمتد إلى بولندة وكانت تحت حكمها فتخلع عنها نير الاحتلال ؛ ومن عجب أن يتجه تولستوى إلى التطوع فى حرب ظالمة كهذه الحرب وهو الذى سوف يكون فى غده من أكبر الساخطين على العدوان وعلى الحرب أيا كانت بواعثها ...

وكان لزاماً على من يتطوع أن يقضى سنتين فى صحبة الجيش العامل قبل أن يسمح له بحمل السلاح والقتال ، ولكن تولستوى كان يطمع أن يتخذ مكانه فى الصفوف قبل انتهاء هذه المدة بما عسى أن يبدى من مهارة وقوة ، وإن خياله ليسهل له كل شىء فما إن يفكر فى أمر حتى يحسبه حقيقة واقعة ، وإنه ليحدث نفسه بأن عمله فى الجيش سوف يكسبه خبرة بالحياة والناس ، وسوف يخلق منه شخصاً جديداً ، إذ أنه بهذا العمل ينجو مما يغريه به الفراغ والشباب من عبث ولهو ...

ولكنه لا يلبث إلا قليلا حتى يكتب لأخيه يقول له : « أثبت فى كتابى الأخير إليك كثيراً من اللغو ، وكان أبرزه ما أشرت إليه من رغبة فى التحاق بفرقة الفرسان ، وسوف لا أفعل ذلك إلا إذا فشلت فى امتحاناتى أو إذا كانت الحرب ذات خطر » .

وجاء الربيع يبعث البهجة والحياة فى كل حى ، وطافت بخيال الفتى مجاليه فى أسحاره وآصاله ، هناك فى ضيعته المحبوبة ياسنايا بوليانا ، فسرعان ما انطلق من جامعة بطرسبرج كما انطلق قبل من جامعة قازان ، وسرعان ما أبعد عن فكره وخياله العمل فى الجيش وفى الوظائف المدنية جميعاً ، ثم أقبل على ياسنايا ، وليس فى نفسه هذه المرة من عزم إلا تعلم الموسيقى !

(يتبع)

المفيد

النطق وكيف نشأ في الانسان وفي الحيوانات العليا ؟

للاستاذ نصيف المنقبادي المحامي

٢ — نشوء النطق في الانسان

التفاهم بالأصوات :

وفي الوقت نفسه استعان أفراد النوع الإنساني على التفاهم بالأصوات — فوق لغة الإشارات المتقدم بيانها — وقد بدأوا بالأصوات الطبيعية للتعبير عن الانفعالات النفسية أو الآلام الجسمانية والحاجات الحيوية كالتنهد والتأوه والأنين والتأفف وغير ذلك كما تفعل الأطفال والحيوانات . وما تزال نرى لغات بعض القبائل المتوحشة التي تعيش في أواسط أوستراليا وفي أواسط أمريكا الجنوبية في هذا الطور من تطورات لغة البشر إلى الآن ، فإنهم نظراً لقلة مواد لغاتهم البسيطة يضطرون للتعبير عن أغراضهم إلى الإكثار من استعمال الإشارات . فإذا تكلموا صوّتوا وأشاروا بأيديهم وأرجلهم وأعينهم ، والإشارات جزء من لغتهم لا يمكنهم الاستغناء عنه فهم لا يستطيعون التفاهم ليلا . وألفاظ لغتهم أقرب إلى الأصوات الطبيعية ولغات القرود العليا منها إلى ألفاظ سائر لغات البشر وهناك قبائل أخرى بأوستراليا لا تسعفهم لغتهم في التعبير عما وراء الاثنين بلفظ واحد إذ ليس لديهم من الألفاظ العددية إلا لفظتان فقط وهما « نتات » أي واحد ، و « نايس » أي اثنين . فإذا أرادوا ثلاثة أضافوها إلى بعضهما وقالوا : « نايس نتات » أو أربعة « نايس نايس » أو خمسة « نايس نايس نتات » أو ستة « نايس نايس نايس » . أما السبعة وما فوقها فيقفون عندها حيارى وهم يعبرون عنها بقولهم ما معناه « كثير »[1] .

ثم بارتقاء الناس عقلياً ومدنياً وتقدمهم في الحياة الاجتماعية مع قيام حاجات جديدة لهم ؛ كل هذا جعلهم يتصرفون في ألفاظهم الأولى ويتوسعون وينوعونها ويفرعون ألفاظاً أخرى فيها إما بتقليد أصوات الطبيعة وانفعالات النفس وإما بالرمز إلى المعاني بألفاظ كانت تدل في بادىء الأمر على الماديات ، كما يفعل الأطفال إلى الآن . فأول لفظة يتفوه بها الطفل الرضيع عند ما يبدأ في النطق هي « أم » أو « ما » يقصد بها الرضاع ، وهو في هذا يعبر تعبيراً طبيعياً عن ذلك المعنى لأنه إنما يقلد الحركة الآلية الفسيولوجية المحض التي يقوم بها للاطباق بشفتيه على ثدي أمه وهو حين يفعل ذلك كأنه يلفظ حرف الميم الذي لا يمكن النطق به إلا بإطباق الشفتين على بعضهما . ثم يتقدم الطفل في السن والنطق قليلا فيتوسع في ذلك اللفظ الطبيعي إلى « نَمْ » يطلقها على الرضاع أولا ثم على جميع أنواع الأغذية ، وعلى والدته نفسها ويفرع منها « ماما » .

وهذا عين ما حدث للانسانية نفسها في أول عهدها بالنطق ولذلك نجد أن جميع شعوب العالم تعبر عن الأم (أي الوالدة) بألفاظ متشابهة في جميع اللغات تشترك في حرف الميم سالف الذكر.

وكانت اللفظة الواحدة في اللغات الأولى القديمة وفي اللغات المتأخرة الحديثة تدل على الإسم والفعل على اختلاف أزمنته (الماضي والمضارع والأمر) ، ولم تكن الضمائر وحروف الجر والنسبة والإضافة وغيرها قد ظهرت بعد . فكان الناس — وما زالوا في كثير من اللغات البسيطة إلى الآن — ينوّعون معاني اللفظة الواحدة بإضافة لفظة أخرى إليها . فالصينيون مثلا يخلو لغتهم من حرف الجر « في » يستعيضون عنه بلفظة « وسط » فيقولون « وسط مملكة » أي « في المملكة » ولأنهم لا يعرفون حرف الباء السببية يستعملون بدلها كلمة كاملة مستقلة . فعندما يريدون التعبير مثلا عن معنى « قَتل رجلاً بالعصا » يقولون « قَتل رجلاً واستعمل عصا » .

وتتقدم لغات البشر خطوة أخرى باستعمال الألفاظ الدالة على المحسوسات والأجسام المادية للتعبير عن المعاني الرمزية والمعنوية فلا تشتمل كثير من اللغات البسيطة القديمة والحديثة على كلمة تدل على معنى الصلابة ، ولهذا يستعمل المتكلمون بها لفظة « حجر » للتعبير عن ذلك المعنى كما فعل الناس في لغة إشاراتهم وكما يفعل الخرس الآن . ولا تشتمل لغات أخرى على لفظة تؤدي معنى الطول فيعبرون عنه بلفظة « ساق » ، وعن لفظة مستدير بقولهم

(١) كتاب الفلسفة اللغوية لجورجي زيدان .

« مثل القمر » . ويستعمل العرب أحياناً لفظة « قلب » المادية للتعبير عن « وسط » فيقولون « قلب المدينة » بدلاً من « وسط المدينة » وذلك لأن القلب فى وسط الجسم . ولفظة وسط نفسها تحولت فى لغتنا المصرية من المعنى المادى ونعنى به وسط الأجسام إلى معنى معنوى محض أى وسط غير الماديات وصارت تستعمل بمعنى بيئة .

وقد استطاع علماء نشوء اللغات وتطورها واشتقاقها أن يردوا معظم الألفاظ المستعملة الآن فى اللغات الحديثة إلى أصول بسيطة تحاكى أصواتاً طبيعية أو انفعالات نفسية أو آلاماجسمانية أوتقلد فعلا مادياً مألوفاً ، ويطول بنا المقام لو اردنا استيعاب ذلك فنكتفى ببعض أمثلة عن أصول الألفاظ العربية نقتبسها من كتاب جورجى زيدان الذى نحن بصدده . فمن ذلك ألفاظ : قط وقطب وقطف وقطع وقطم وقطش وقطل ، فإنها جميعها تتضمن معنى القطع والأصل المشترك بينها هو لفظة قط وهو حكاية صوت القطع كما لايخفى — وباللغة الإنجليزية أيضاً « كت » Cut — وبتطور اللغة وارتقاء المتكلمين بها فى المدنية تنوعت مدلولاتها بإضافة لفظة ثانية إلى لفظة قط للتعبير عن مختلف معانى القطع . وعلى ممر الزمن ضمرت اللفظة الثانية كما تضمر أعضاء الحيوانات والنباتات ، وكادت تندثر ولم يبق منها الآن إلا حرف واحد اندمج فى لفظة قط وصار وإياها كلة واحدة بالطرق المقررة فى علوم فقه اللغات .

ومن متنوعات « قط » لفظاً « قص » ومنها قصم وقصل وقصب وقصر وقصف وقص ، وجميعها تفيد القطع وتحاكى بعض أصوات تنوعاته القطع بالقص . ومن تحولات قص لفظة كَسّ وهى محاكاة صوت الكسر ولا سيما كسر الخشب — وبالفرنسية Casser أى كسّرَ — ومنها كَسّ وكسر وكسع وكسم . وتحولت « قص » لفظاً من ناحية أخرى إلى « جز » ومنها جذه وجذب (بمعنى انقطع فيقال جذب الريق أى انقطع) وجذف وجذم وجميعها تتضمن معنى القطع أوتنوعاته ويجانس جَذّ جَزّ وهو محاكاة صوت قص الشعر وتنوعت منه جُزّ وجزء وجزر وجزع وجزل وجزم . وإن تنوع معنى القطع يفوق المئات عداً فضلاً عن اشتقاقات كل لفظة منها إسماً وفعلا ونعتاً وفاعلا ومفعولا ثلاثياً ورباعياً وخماسياً وغير ذلك مما تطورت إليه اللغة وتحولت من أصولها البسيطة الأولية . وكانت تدل فى أول استعمالها على معانٍ حقيقية حسية ثم أطلقوها على معانٍ مجازية وكلها ترجع إلى أصل واحد وهو محاكات صوت طبيعى وهو صوت القطع .

وهكذا الحال بالنسبة لمعظم ألفاظ اللغة . فمن « هَبْ » بمعنى ثار أو هاج تفرع هَبّ وهيج (أى ضرب ضرباً شديداً) ، وهبذ أى أسرع فى المشى وهبش بمعنى هيج التقدمة ، وهبص الرجل أى نشط أو عجل ، وهبا الفرس أى فر . وهى جميعها تتضمن معنى « هب » وهى محاكاة صوت اللهيب إذا نفخه الإنسان أو نفخه الريح . ومن الألفاظ التى تدل على السرور وطلاقة الوجه : بسّ وبساء وبسم وبسط وبسل وبش أى حسنت سحنته وجميعها ترجع إلى معنى واحد وهو « بس » التى يغلب أنها تحولت لفظاً عن بش وهى من الأصوات التى ينطق بها الإنسان غريزياً عند الاستحسان كقول العامة إذا استحسنوا شيئاً أو أعجبوا به « إش » ومنها بشّ . ووجه بشوش . ومن ضروب معانى الفتح فتّ وفقاء وفقح وفقر وفقص ونقس وفقش . والعامة تقول فقع . وترجع جميعها إلى « فق » وهى حكاية صوت القربة إذا شُقت وهى ملاى أو ما شاكل ذلك من الأصوات القريبة .

وفى الأمثلة المتقدمة جاء الحرف المزيد — المشتق من كلمة إضافية قديمة — فى آخر الكلمة الأولى وهذا هو الأغلب ولكن قد يكون فى الوسط أى بين الحرفين الأصليين كشلق من شق ، وفرق من فق ، وقرط من قط ، وقرص من قص وقرض من قض ، وشرق من شق ، ولحس ولسس ولمس من لس .

وألفاظ أخرى كثيرة مشتقة فى الأصل من أصوات طبيعية تعبر عن انفعالات نفسية أو حالات جسمانية فسيولوجية يخرجها الإنسان أو الحيوان باختياره أو عن غير قصد مثل « آه » للتألم والتنهد . ولا يخفى أن الآلام وسائر انفعالات النفس تحدث اضطراباً فى التنفس عن طريق الجهاز العصبى فيضطر الحزين أو المغموم أو المهموم أن يستنشق من فترة إلى أخرى كمية زائدة من الهواء ليعوض ما فاته من التنفس الناقص أثناء اضطرابه أو حزنه . وهذا هو التنهد بعينه : وقد اشتقت من لفظة « آه » ألفاظ كثيرة منها التأوه وتأوهَ ومنها لفظة « تنهد » نفسها . ومن

ذلك الهمهمة وهي الصوت الحاصل من الزفير عند الحزن ومنها الهم والمهموم الخ . والزفير أي إخراج النفس بشدة عند عمل شاق والشخير وهو محاكاة النائم وهو يغط . والنحنحة والعطاس والسعال . ومن ذلك لفظة « وى » وقد تركب منها ومن اللام لفظ ويل ويعبرون بها على التفجع أو حلول الشر واستعملوها إسماً لوادٍ في جهنم ، وشقوا منها ويلة بمعنى فضيحة وركبوا من ويل ألفاظ أخرى منها ويح ، ومنها ويب وربما كان أصلها « وَى أب » للاستغاثة بالأب ولفظة ويخ » وربما كان أصلها « وى أخ » للاستغاثة بالأخ . وكذلك الألفاظ العديدة المشتقة من كلمة أف ومنها الأنف والتأفف والنفخ وغيرها .

ويؤيد أن اللغة العربية نشأت هكذا أننا نجد تلك الألفاظ الأصلية في أخواتها العبرية والحميرية والأشورية والحبشية والكلدانية والمصرية القديمة وجميعها مشتقة من أصل أو أصول قديمة اكتشفت آثار بعضها ولا يزال بعضها الآخر مجهولا . وهي مجموعة اللغات المسماة باللغات الشرقية أو السامية . ويمكننا أن نتبين هنا أصل نشوء وتنوع وتطور الأسماء والأفعال على تباين صورها والحروف المختلفة كحروف الجر والنفي والإضافة والإشارة وكذلك الضمائر، ويمكننا أن نتتبع كيفية تحول جميع هذه الألفاظ وتسلسلها من اللغات السامية القديمة إلى اللغة العربية وأخواتها السامية الحديثة كالعبرية وغيرها . ولكن المقام لا يتسع لذلك فنكتفي بمثل أو مثلين :

فالظرف « مَعْ » في لغتنا العربية يقابله في العبرية « عِم » ، وفي السريانية « عَمْ » فلا شك في أن « مَعْ » العربية مقلوبة عن « عم » العبرية والسريانية . ومن الغريب أن هذه اللفظة نفسها تفيد أيضاً في هاتين اللغتين — فوق معنى الظرفية — معنى « شعب » ومعنى « العم الشرعي » . فيستدل من ذلك أن الأصل فيها معنى الاجتماع والاتحاد فاستعملوها إسماً للعم الشرعي وانتقلت للعربية كما هي ، واستعملوها أداة عطف وانتقلت إلى العربية مقلوبة — أو أنها قلبت في الطريق .

ولفظة « ليس » النافية في اللغة العربية أصلها « لا » حرف النفي و « أيس » التي معناها في العبرية الكون أو الوجود ولم تنتقل هذه الكلمة إلى العربية أو أنها انتقلت ولم تلبث حتى اندثرت لعدم استعمالها . فلفظة ليس المستعملة الآن في العربية معناها نفي الوجود و « أيس » هذه بمعناها المذكور موجودة في كثير من اللغات السامية وغير السامية . فهي في العبرية القديمة « يش » ، وفي السريانية « إيت » ، وفي اللاتينية والسنسكريتية والفارسية واليونانية وفروعهن « إيست est » أي الكون أو الوجود ، وفي الفرنسية القديمة المتسلسلة من اللاتينية كما لا يخفى « إيست est » أيضاً ومنها تحولت في الفرنسية الحديثة إلى فعل être الذي أصله في الفرنسية القديمة estre الذي يفيد معنى الوجود أو الكينونة وأن عبارة Vous êtes أصلها Vous este ومعلوم أن حركة « ^ » المسماة Accent circouflee المستجدة في الفرنسية الحديثة حلت محل حرف « S » في الفرنسية القديمة وعلى هذا النحو تحولت لفظة «hostel» بمعنى فندق إلى hôtel .

وكلمة « مال » العربية التي يعتقد جمهور الناس أنها لفظة ثابتة قائمة بنفسها إنما هي مركبة في الواقع من « ما » الموصولة ولام الإضافة كقولهم ما للرجل وما عليه أي الذي له والذي عليه ، وقد اندمج هذان الحرفان على مر الزمن وأصبحا كلمة واحدة مستقلة بمعنى المال . واشتقت منها ألفاظ عديدة منها مول واشتقاقاتها فعلا وإسماً وفاعلا ومفعولا ، ومنها ملك وملكية ومملوك وفعل ملك وامتلك الخ ومنها ملك وجمعها ملوك . ولا يبعد أن يكون مال بميل مأخوذ عن تلك اللفظة لأن الميل فيه معنى الحب والرغبة ، والمال أحب شيء للانسان .

وما يقال عن اللغة العربية وأخواتها وأجدادها السامية يقال عن اللغات الهندية الأوروبية والطورانية وجميع لغات العالم .

* * *

وخلاصة القول إن النطق ظاهرة طبيعية محضة بدأت على أبسط صورة في الحيوانات العليا التي تعيش جماعة مثل بعض الطيور وبعض أنواع ذوات الثدي وعلى الأخص القرود العليا (أما النمل فله طريقة صامتة للتفاهم والتعبير) . وقد ارتقى النطق واتسع في الإنسان نتيجة العوامل الطبيعية المتقدم بيانها التي أدت تطور النوع الإنساني وتحوله إلى شكله الحالي . فالفرق بين الإنسان والحيوانات إنما هو فرق في الدرجة فقط — درجة التطور — وليس في طبيعة الأمور

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٩٥ — بين ملك وعالم

نفح الطيب : قال الحجاري صاحب (المسهب في أخبار المغرب) :

كنت كثيراً ما أستشكل هذه التسمية لما قال غير واحد أن (المسهب) إنما هو بفتح الهاء . والفقرة الثانية وهي المغرب تقتضي أن يكون بكسر الهاء ، ولم يزل ذلك يتردد في خاطري إلى أن وقفت على سؤال في ذلك رفعه المعتمد بن عباد سلطان الأندلس إلى الفقيه الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن سليمان النحوي الشنتمري المشهور بالأعلم ، ونص السؤال :

« سألك — أبقاك الله — الوزير الكاتب أبو عمرو بن غطمش — سلمه الله — عن (المسهب) وزعم أنك تقول بالفتح والكسر ، والذي ذكره ابن قتيبة في أدب الكتاب والزبيدي في مختصر العين (أمسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر الكلام بالفتح خاصة) فبين لي — أبقاك الله تعالى — ما تعتقد فيه ، وإلى أي كتاب تسند القولين لأقف على صحة من ذلك » .

فأجابه : « وصل إليّ — أدام الله تعالى توفيقك — هذا السؤال العزيز ، ووقفت على ما تضمنه ، والذي أحفظه وأعتقده أن (المسهب) بالفتح المكثر في غير صواب وأن المسهب ، بالكسر البليغ المكثر في الصواب ، إلا أني لا أسند ذلك إلى كتاب بعينه ولكني أذكره عن أبي علي البغدادي عن كتاب (البارع) أو غيره معلقاً في عدة نسخ من كتاب (البيان والتبيين) على بيت في صدره لمكي بن سوادة :

حصر مسهب جرىء جبان خير عي الرجال عي السكوت

والمعلقة : (تقول العرب أمسهب الرجل فهو مسهب وأحصن فهو محصن وألفج فهو ملفج إذا افتقر ، قال الخليل : يقال : رجل مسهب ومسهب ، قال أبو علي : أمسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر في غير صواب ، وأمسهب فهو مسهب بالكسر إذا أكثر وأصاب ، قال أبو عبيدة : أمسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر من خرف وتلف ذهن ، وقال أبو عبيد عن الأصمعي : أمسهب الرجل فهو مسهب بالفتح إذا خرف وأهتر ...) انتهت المعلقة . فرأي مملوكك — أيدك الله تعالى — واعتقاده أن المسهب بالفتح لا يوصف به البليغ المحسن ولا المكثر المصيب ، ألا ترى إلى قول الشاعر (حصر مسهب) أنه قرن فيه المسهب بالحصر وذمه بالصفتين ، وجعل المسهب أحق بالعي من الساكت والحصر فقال : (خير عي الرجال عي السكوت) والدليل على أن (المسهب) بالكسر يقال للبليغ المكثر في الصواب أنهم يقولون للجواد من الخيل مسهب بالكسر خاصة لأنها بمعنى الإجادة والإحسان ، وليس قول ابن قتيبة والزبيدي في المتسهب بالفتح هو المكثر من الكلام بموجب أن المكثر هو البليغ المصيب ، لأن الإكثار من الكلام داخل في معنى الذم لأنه من الثرثرة والهذر ، ألا تراهم قالوا : رجل مكثار كما قالوا : ثرثار ومهذار . فهذا ما عندي والله (تعالى) الموفق للصواب

وقد نشأت اللغات — وهي ظاهرة اجتماعية طبيعية محض — من النطق بأصوات بسيطة لجأ إليها الإنسان الأول للتفاهم وكان يعبر بها عن الانفعالات النفسية أو الآلام الجسمانية أو الحاجات الحيوية ، ويقلد بها الأصوات الطبيعية للأشياء والأفعال المختلفة أو أصوات الحيوانات والطيور أو عوامل الطبيعة . ثم تصرف فيها وتوسع بالنحت والاشتقاق والقياس والإضافة والإدماج وتحويل الألفاظ من معانيها المادية إلى المعاني الرمزية والمعنوية الخ طبقاً لحاجاتهم المستجدة مع تقدمه في المدنية وارتقاء الحياة الاجتماعية والعقلية . فصارت اللغات البسيطة الأولية تتطور هكذا تطوراً يختلف باختلاف البيئات والأقاليم فنشأت اللهجات المختلفة واستمرت هذه في التطور والتحول عن أمهاتها حتى أصبحت لغات جديدة مستقلة تولدت من كل واحدة منها لغة أو لغات أخرى تسلسلت منها اللغات القديمة ثم الحديثة على نحو تطور الكائنات الحية النباتية والحيوانية (بما فيها الإنسان) وتسلسل الحديث منها من القديم طبقاً لنواميس التطور والتحول الطبيعية التي تشمل كل ما في الكون وعلى الأرض من الجمادات والكائنات الحية (وهي صورة من صور الجمادات ومظهر من مظاهرها) واللغات والشرائع والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية .

نصيف الفقيري

٨٩٦ - أبو بكر ، على

وفيات الأعيان : كانت لأبي الفرج بن الجوزي في مجالس الوعظ أجوبة نادرة ، فمن أحسن ما يحكى عنه أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي (رضي الله عنهما) فرضي الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج ، فأقاموا شخصاً سأله عن ذلك وهو على الكرسي في مجلس وعظه فقال : أفضلهما من كانت ابنته تحته. ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك ، فقالت السنية : هو أبو بكر لأن ابنته عائشة (رضي الله عنها) تحت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقالت الشيعة : هو علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لأن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تحته . وهذا من لطائف الأجوبة ، ولو حصل بعد الفكر التام وإنعام النظر كان في غاية الحسن فضلا عن البديهة .

٨٩٧ — وغير منه عندي

في (بدائع البدائه) لعلي بن ظافر الأزدي :

أخبرني القاضي السعيد (ابن سناء الملك) قال: أخبرني الشريف الجليل الوافد من العراق على الدولة المصرية قال : اجتمعت في بعض الأيام بأمين الدولة أبي الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ فأخذنا في ذم الدهر وإخنائه على أهل الفضل[1] وإذا بكلاب الصيد التي برسم الخليفة قد أبرزت في جِلال[2] الوشي والديباج فحرك ذلك ما كنا نتجاذب أهدابه في الدهر فقلت :

من كان يكسو الكلب وشيا (م) ثم يقنع لي بجـ لدي

واستجزته فقال :

الكلب خير عنده مني ، وخير منه عندي ...

٨٩٨ — خفيف على القلب ...

الكنايات للثعالبي : حدثني أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي قال دخلت يوماً إلى الشيخ أبي نصر بن أربد ببخارى وعنده علوي مبرم قد تأذى بطول جلوسه وكثرة كلامه ، فلما نهض قال لي نصر : ابن عمك هذا خفيف على القلب ، فقلت : نعم مساعداً له على رأيه . فتبسم ضاحكا من قولي ، وقال لي : لم تفطن للغرض ، فما زلت أفكر حتى وقع لي أنه أراد خفيفاً مقلوبا وهو الثقيل ، وهذا المعنى أراد أبو سعد دوست بقوله :

وانثقل من قد زارني وكأنما تقلب في أجفان عيني وفي قلبي
فقلت له لما برمت بقربه أراك على قلبي خفيفاً على القلب

وكان الناصر العلوي الأطروش إذا كلمه إنسان فلم يسمعه قال له : يا هذا ، ارفع صوتك ، فإن بأذني بعض ما بروحك ، يكني عن الثقل .

٨٩٩ — أيشربن من هذا الشراب ؟

الحيوان للجاحظ : حدثنا ربعي الأنصاري أن عجوزاً من الأعراب جلست في طريق مكة إلى فتيان يشربون نبيذاً لهم ، فسقوها قدحاً فطابت نفسها وتبسمت ، ثم سقوها قدحاً آخر فاحمر وجهها وضحكت ، فسقوها قدحاً ثالثاً فقالت : خبروني عن نسائكم بالعراق أيشربن من هذا الشراب ؟

فقالوا : نعم .

فقالت : زنين ورب الكعبة ...[1] .

٩٠٠ — يأتم بأبي فروخ . . .

الحيوان للجاحظ : قال بعض ظرفاء الكوفيين :

فإن يشرب أبو فروخ أشرب وإن كانت معتقة عقـارا
وإن يأكل أبو فروخ آكل وإن كانت خنانيصاً صغارا

٩٠١ — ماذا وراءك أو ما أنت يا فلك ؟

نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري: قال أبو العلاء المعري:

يا ليت شعري وما ليت بنافعة ماذا وراءك أو ما أنت يا فلك
كم خاض في إثرك الأقوام واختلفوا
قدماً فما أوضحوا حقاً ولا تركوا
شمس تغيب ويقفو إثرها قمر ونور صبح يوافي بعده حلك
طحنت طحن الرحى من قبلنا أمماً
شتى ولم يدر خلق أية سلكوا

وقال : إنك طبع خامس نفر عمري لقد زعموا بطلا وقد أفكوا
راموا سرائر للرحمن حجبها ما نالهن نبي لا ولا ملك

(١) جوره عليهم .

(٢) جل الدابة كثوب الانسان يلبسه يقيه البرد والجمع جلال وأجلال (المصباح) ...

(١) في شرح المقامات للشريشي : يزنين ورب الكعبة ، والله لا يدري أحدكم من أبوه ...

زرقاء العيون

للاديب عبد العظيم عمر زين الدين

حينما ترحل النجوم عن الكو ... ن إلى عالم من الخلد زاخر
حينما تختفي الرؤى سابحات ... وتجوز الأحلام وادي الخواطر
حينما يحمل النسيم من الك ... رق بشرى السنا إلى كل ساهر
تجديني يا فتنتي أتمـــلى ... نور دنياك في بشاشة طائر

حينما يفضح الندى وجنة الور ... د فتهتز للشروق النواظـر
حينما يبسم الضياء على الأف ... ق ابتسام الآمال في قلب حائر
حينما تبعث النســـائم بالمو ... ج فينساب في افتتان المناصر
تجديني أطوي الطريق لوادي ... ك وظلي على البحيرة سائر

حينما تنفض العذارى من الجـ ... ـن غلالاتهن من كل ساتر
يتمطين فوق أرجوحة المو ... ج ويرقصن في عيون الأزاهر
حينما تسرح الفراشات عطشى ... لرحيق على الشفاه النواضر
تجـــديني أدق بابك في رفـ ... ـق وقلبي للحسن حي المشاعر

تجديني بباب كوخك نشوا ... ن، أحييك في الضياء الحبيب
فرحتي باللقاء تطلق روحي ... تتهادى مع النسيم الرطيب
لتزيح الستار عن خدرك الحا ... لم بالسحر، بالرؤى، بالغروب
وأتملى الضياء من صدرك الحا ... في بالحب، بالحنان المجيب

ياصبا العمر، ذاك مغناك نادى ... والحبيب المشوق، هيا أجيبي
وخذيني من قفرة الوجد والشو ... ق إلى ساحل الهوى، واعبري بي
أنا أهوى الجمال منك رحيقاً ... ينبت الحب في الفؤاد الجديب
وحياة تفيض فيها معانـ ... ـي كل يوم جديدة في القلوب

أنا عندي كل الذي تتشهـ ... ـين فهاتي، كما وعدت نصيبي
في عيوني نجوى يصوبها الشو ... ق لعينيك، في حنان غريب
وبقلبي من أسطر الحب قرآن ... طهور ترتيله في وجيبي
وحواليك هالة من حناني ... لتراعيك دائماً من قريب

عجب ما أرى بعينيك من عمـ ... ـق، ومن فتنة، ومن أضواء
وغريب هذا الشعاع الذي يجـ ... ـذب روحي للجـه المتناهي
والنداء القهار يسلبني رشـ ... ـدي، فويلاه من فتون النداء!
أترى فيه لو تبعت خلودي؟ ... أم أرى مصرعي وألقى فنائي؟

حدقي بي يا فتنتي، ودعيني ... في خيالي ومرحتي وانتشائي
واجعليني أنسى كياني، وعمري، ... ونعيمي، وبهجتي، وشقائي
وأرى الدهر والمكان بعينيـ ... ـك وسحر الرؤى، ونور السماء
أطلقيني في ظل جفنيك أحيا ... عبقري الصبا، جديد الرواء

حدقي بي، يا جنتي يا حميمي ... يا دوائي من غلتي وشقائي
وأزيحي الخصلات عن خدك النا ... عم حتى أرتاد دنيا الضياء
سكن الكون حولنا وأصاخ الـ ... ـدهر، ما حولنا من الأحياء
والغدير الرجراج كف عن السـ ... ـير، ومال الصفصاف للاصغاء

أسندي رأسك البديع إلى صدـ ... ـري وكوني رفيقتي في هياي
وصلي من طريق عينيك روحي ... نا، وطوفي بصدري الثراي
واجعليني أحس أني قد نلـ ... ـت نصيبي الموعود من أياي
واغمري وجنتي من أفق عينيـ ... ـك بنور من الرضا والسلام

أنا زار، أتيت واديك وحدي ... من وراء الأزمان والأيام
من بلاد لم يعرف الحب أهلو ... ها فعاشوا في وحشة وظلام
قضوا العمر في قيود من الجـ ... ـهم وأفنوه في انتظار الحمام
وذوى القلب بينهم من ظماء ... وقضى دون دمعة أو سلام

إن قومي قد شيعوني كميت ... قربوه في معبـــد الآثام
قيل: ذو جنة يعيش على الحـ ... ـلم، ويحيا في عالم الأوهام
وفتى راح في الخيال بعيداً ... وفقدناه في خضم الزحام
آه.. يا ليتهم يرون مسرا ... ت المنى، وفرحة المستهام

خبريني، ما قصة العين والجفـ ... ـن؟ إذا أنشدا حديث الغرام
وعظات الكهان في معبد الحب ... وأسطورة الهوى في الأنام
أنت أهلي، وشيعتي وقبيلي ... وبواديك موطني ومقامي
ومنـــاي على هواك وسعوى ... وابتدائي في ظلـــه وختامي

الأدب والفن في أسبوع

رجالنا المنسيون :

كتب أديب فاضل في جريدة « الأهرام » مقالا عن المغفور له حفني ناصف بك بمناسبة ذكرى وفاته ، وقد اقترح على الحكومة أن تهتم بإنشاء مدفن فخم تضم فيه رفات أولئك الرجال العبقريين تخليداً لذكرهم واعترافاً بفضلهم وتذكيراً للأبناء بما أسدوا وأجدوا في خدمة أوطانهم .

وليس هذا الاقتراح بالجديد ، فقد ردده كثيرون من قبل ، على أن الرجاء في تحقيقه ضئيل بل معدوم ، لأننا أمة تعيش على مبدأ « مات الميت فليحيى الحي » وليس من شيمتنا تقدير الفضل لذاته ، ولا الاعتراف بالجميل لأصحابه حتى ولو كان أصحاب هذا الجميل هم أبناؤنا وأساتذتنا وأعز الناس على نفوسنا . ولهذا طوى كثير من رجالنا الكبار في مطاوي النسيان ، وأصبحوا — بعد أن ملأوا الدنيا بأعمالهم — في خبر كان ...

حفني ناصف ومحمد سلطان ومحمد المهدي ومحمد الخضري وعبد الوهاب النجار وعبد العزيز جاويش وغيرهم من الطلائع الذين تخرجوا في دار العلوم لا يعلم عنهم أبناء دار العلوم شيئاً ، ولا يحسنون أثراً من فضلهم وعلمهم ، ولا يقفون على شيء من ذكرهم وخبرهم !

ومحمد عبده وأبو خطوة والمرصفي والمباسي وعلي يوسف ، وعشرات من إخوانهم الذين تخرجوا في الأزهر لا يعرف عنهم أبناء الأزهر شيئاً ولا يحسنون أثراً من فضلهم وعلمهم ولا يقفون على شيء من ذكرهم وخبرهم ! !

وأمين الرافعي وسيد كامل ومحمد مسعود وعبد القادر حمزة وتوفيق فرغلي ، وعشرات الصحفيين من إخوانهم لا يعلم عنهم أبناء الصحافة اليوم شيئاً ولا يحسنون أثراً من فضلهم وعلمهم ، وللصحفيين ناد يجتمعون فيه ولكنك مع الأسف لا تجد فيه صورة واحدة من صور أولئك الصحفيين الذين أيقظوا وجدان الأمة وبثوا كيان الشعب .

ومن منا يذكر أحمد زكي وأحمد تيمور وتوفيق العدل والنجاري والفلكي وسواهم من الأعلام الأفذاذ عليهم رضوان الله أجمعين .

وآسفاه ! كأننا جيل خلق بدون آباء وتربى من غير أساتذة فلا تقل يا سيدي مقبرة للأدباء ، ولكن قل لعل الأبناء أن يذكروا الآباء .

نبئيني يا زهرتي — أي ربع ... كان مهداً لزهرتي — أي وادي؟
أي روح أظل عودك ريا ... ن ، ونبع سقى صباك الهادي؟
أي أفق بزغت فيه ضياء ... كان صحواً ويقظة في البوادي؟
أي فذ أخذت عنه أناشي ... دك حتى قدست في الإنشاد ؟

علم الله أن هذي مغانيـ ... ـك بعينيك في جلاء بوادي
والعهود البيضاء من عمرك الزا ... هي أماسي من ليلة الميلاد
وأراها على شواطىء نبع ... أزرق اليم ، صافي الإزباد
تتهادين كالنسيم وكالحـ ... ـلم ، وكاللحن في جمال التهادي

كالفراش النشوان من بهجة النو ... ر ، طليق على المروج . وغادي
خطرات الأقدام منك على الشط ... كوقع الندى على الأعواد
يلثم الزهر طرف ثوبك حباً ... ويناجيك في جوى المباد
وتحليك هذه الشمس إعجاباً بتاج من السنا الميلاد

يا فتاتي هذي مغاني مرآتك تبدو في مقلتيك نديه
ذلك العالم الملي بأرواح عذاري وأنفس سحريه
لفها الطهر في غلالات حس وراها خلاقها عذريه
أنت فيها لحن بديع سماوي المعاني ، مخلد العبقريه

فاليها حيث التلاقي خلود ... ومسراتنا بها أبديه
وخذيني على جناحك مشتا ... قاً وعودي للسحر — ياجنيه
سوف نحيا بها سوياً كأنا ... نزجات غيبانة بريه
ولنا الحب والجمال معان ... ساميات في روحنا علويه

عبد العظيم عمر زين الدين
كلية الآداب — اسكندرية

تأثير الأندلس في أوربا وأمريكا :

بمناسبة المحاضرات التي ألقاها أخيراً المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسيال بجامعة فاروق الأول عن الشعر العربي في الأندلس أذكر أن الشاعر الأسباني « فرنسيسكو فيجاسبانسا » ألقى محاضرة منذ عشرين عاماً في مدينة « بيونس أيرس » أشاد فيها بأخلاق الشعب العربي في الأندلس وأطرى سجاياه النبيلة وما فطر عليه من الفصاحة والسليقة الشعرية ثم قال « وإن هذه السليقة الشعرية لتكاد تكون ملموسة بنغماتها فيه ومعانيها في الشعر الشعبي الذي تعبر به الأمة الأسبانية عن مشاعرها الحقيقية ، وقد انتقلت هذه الروح العربية من أسبانيا إلى أمريكا اللاتينية بواسطة هذا الشعر الشعبي الذي حمله إليها الأسبانيون ولا سيما المهاجرون من الأندلس الذين كانوا في طليعة المستعمرين لأمريكا الجنوبية ! !

هذا ما شهد به مفكر كبير من أبناء أسبانيا ، ولست أدري رأي المستشرق بروفنسيال في هذه الحقيقة ، ولعله يكون قد عرض لها في حديثه عن تأثير الشعر الأندلسي في أوروبا .

التأثير الديني :

لاحظ القائمون بأمر المسرح الشعبي في وزارة الشئون الاجتماعية أن الناحية الدينية هي أقوى مؤثر على عواطف الجماهير واجتذاب مشاعرهم ، ولهذا يفكر المشرفون على هذا المسرح في استغلال هذه الناحية على أوسع مدى فيما يقدمون إلى أبناء الريف من المشاهد والتمثيليات .

وهذا في الواقع أمر مفهوم ، فإن الشعب المصري شعب متدين بالفطرة ، وهو أقدم شعوب الأرض اتجاهاً إلى الله ، ولا يزال للنغم الديني في الشرق عامة سحره ولذته ، وإن من الواجب أن تقوم دعاياتنا الاجتماعية على ما يتجاوب مع عواطف الشعب وينسجم مع روحه ومشاعره ، ولا يمكن أن تفيد تلك الدعاية وتؤتي ثمرها إذا جرينا فيها على التقليد للغرب واقتباس العواطف الغريبة عنا ، وما دامت وزارة الشئون الاجتماعية قد لمست هذا بالتجربة فلعلها تتجه ذلك الاتجاه ، بأن تتبين نفسية البيئات الشعبية وتتلمس الأوتار الحساسة في عواطف الجماهير وميولهم فتضرب عليها وتأخذهم إلى الإصلاح من طريقها .

تمثال للأمير شكيب :

قررت الجالية اللبنانية في الولايات الأمريكية إقامة تمثال لفقيد العروبة الأمير شكيب أرسلان اعترافاً بفضله على العرب والأدب وتقديراً لخدماته الجليلة للأمم العربية في حياته ، ووفاء لذلك الرجل العظيم الذي عاش غريباً مشرداً ينادي بالحرية والاستقلال لسائر الأقطار العربية .

وهذا واجب تؤديه الجالية اللبنانية في مطارح الغربة ، ولكن يبقى على أبناء العروبة في الوطن الأصيل أن يجعلوا للفقيد تذكاراً حيث نشأ وحيث جاهد وناضل ليذكر الأبناء ويشحذ من عزيمة الأحفاد ؟ !

نشيد عالمي للشباب :

يعقد الاتحاد العالمي للشباب الديمقراطي مهرجاناً عالمياً في مدينة براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا يستمر من ٢٠ يوليو القادم إلى ١٧ أغسطس ، وستجرى في هذا المهرجان مسابقة عالمية لاختيار نشيد للشباب الديمقراطي العالمي ، على أن يكتب النشيد بأية لغة ثم يترجم عند تقديمه إلى الانكليزية أو الفرنسية أو الروسية أو الإسبانية ، ويشترط فيه أن يعبر عن أفكار الشباب الديمقراطي ورغباته في قيام تفاهم عالمي وسلم دائم يشمل جميع أبناء الأرض ، وأن يصور مرح الشباب وحيويته وحماسته ، وقد طلب الاتحاد من هيئات الشباب الديمقراطي في أنحاء العالم أن تقوم بتنظيم مسابقات محلية لاختيار نشيد تتقدم به إلى المسابقة العامة التي ستجرى في ذلك المهرجان العام .

وأنا لا أثق بمثل هذه المسابقات ولا أعتقد أنها تنتج نشيداً له سحره وحيويته وفيه من القوة وفيض الإيمان ما يضمن له الخلود والبقاء والاتصال بالقلوب ، ذلك لأن الأناشيد لا تصنع ولا تقترح على الشعراء والأدباء ، ولكنها تكون فيضاً من الإيمان والحماسة يتنزل على الشاعر في فترة من فترات التجلي كتنزل الوحي ، وجميع الأناشيد الحماسية الخالدة لم يكن مبعثها إلا هذا . أما الأناشيد التي تصنع وتقترح فأنها أشبه ما تكون بالأناشيد التي تصنع لتلاميذ المدارس .

وعلى أية حال فأي معنى سيؤثره الشباب في نشيده ، أهو — كما يقول — الرغبة في قيام تفاهم عالمي وسلم دائم في جميع

أنحاء العالم ، وما قيمة هذه الرغبة وما جدواها بإزاء ذلك التناحر الذى يقوم بين السياسيين فى مؤتمراتهم حول اقتسام النفوذ وفرض السلطان على الضعفاء ؟ !

معرض الكتاب اللبنانى :

يعتقد القائمون بنشر الكتب العربية فى لبنان « أن الكتاب اللبنانى فى مصر مغمور وعاط بالغموض ، وأن ذلك يرجع إلى نقص فى تنظيم النشر أكثر مما يعود إلى عدم إقبال القراء المصريين » .

لهذا أقيم معرض للكتاب اللبنانى فى دار القنصلية اللبنانية وقد افتتحه وزير لبنان المفوض بعد ظهر يوم الجمعة الماضى بحضور كثيرين من رجال العلم والأدب والصحافة . وتقرر أن يظل هذا المعرض مفتوحاً عشرة أيام وذلك لإعطاء أبناء مصر صورة عن حركة النشر الثقافى فى لبنان .

وقد علمت أن ناشرى الكتب فى بيروت قد اجتمعوا أخيراً وألفوا اتحاداً من بينهم يجمع شملهم ويوحد غايتهم وذلك بالدعاية « للكتاب اللبنانى فى الأقطار العربية والمهاجر المتصلة بها » .

كما أذيع من بيروت أن أصحاب المطابع سيصدرون نشرة دورية باللغتين العربية والفرنسية تشتمل على أنباء الطباعة وأعمال النشر .

ومما يذكر بهذه المناسبة أن معرضاً للكتاب العربى الفلسطينى قد أقيم فى يافا فى الأسبوع الماضى وفى النية إقامة هذا المعرض فى فرصة أخرى وذلك للدعاية للكتاب العربى فلسطين ..

ونحن نرجو أن تقابل هذه الحركة فى لبنان حركة مماثلة فى مصر وفى سورية وفى سائر الأقطار العربية ، وأن يكون هدف الجميع تنظيم أعمال النشر بما يضمن رواج الكتب العربية فى سائر أنحاء العالم العربى ، على أن يراعى هؤلاء الناشرون أنهم يؤدون خدمة ثقافية قومية أكثر مما يحترفونها مهنة تجارية .

كتاب عن المملكة العربية :

أصبحت البلاد العربية السعودية فى الآونة الأخيرة مثاراً لاهتمام الباحثين الأمريكيين ومجالا لعنايتهم فى الكتابة والتأليف ولقد كان من مظاهر هذا الاهتمام أن ظهر أخيراً كتاب للكاتب الأمريكى الستر تويتشل باللغة الانجليزية ألم فيه المؤلف بتاريخ تلك البلاد ثم تحدث عن وضعها الجغرافى والاقتصادى ومرافق الاستغلال والانتفاع فيها ، ثم قال إن هذه الصحراء العربية التى كانت مهداً للدين ستصبح مصدراً للثروة وستخرج أمة جديدة تتبوأ مكانتها فى التجارة والرقى الاجتماعى .

وقد وقع المؤلف فى بعض الأخطاء التاريخية وقرر بعض الأحكام التى لا تطابق الحقيقة فى روح الإسلام واتجاهه ، على أن هذا ليس بالأمر المهم لأنه ديدن أولئك الأجانب عادة فيما يكتبون عن الإسلام وبلاد الإسلام فإنهم كثيراً ما يترددون فى فرض الأحكام الخاطئة بحسن نية أو سوء نية ، وإنما المهم الذى يسترعى الأنظار هو أن نلمس هذا الاهتمام المفاجىء عند الباحثين الأمريكيين بتاريخ البلاد العربية السعودية وطبيعة أرضها وسمائها وما فيها من موارد الثروة ومصادر الانتفاع ، فليس من شك فى أنه ليس بالاهتمام الخالص لوجه البحث والعلم ولكنه اهتمام يجارى السياسة الأمريكية فى اهتمامها بمرافق تلك البلاد ، ومن ثم يجب أن نقابل تلك التآليف التى تظهر فى هذه الناحية بكثير من الحذر وتدقيق النظر

« الجاحظ »

« الرسالة » : بمناسبة ما كتبه « الجاحظ » عن رجالنا المنسيين من العلماء والأدباء والفنانين نقول إن الرسالة تحشد الجهد وتعد العدة لنشر سلسلة من التراجم المستفيضة لأولئك الأعلام والتعريف بآثارهم وآرائهم وستبدأ فى نشرها قريباً ، والرسالة لا تريد أن تستقل بهذا الجهد ، وترجو من جميع الذين لديهم خبر فى ذلك أن يعاونوها على أداء هذا الواجب .

ظهرت الطبعة الجديدة من كتاب :

فى أصـــول الأدب

وستظهر قريباً الطبعة الجديدة من كتاب:

تاريخ الأدب العربى

ليس :

وجود هذا الفعل فى اللغة العربية غريب جداً . غريب فى صيغته ، غريب فى زمنه وغريب فى مادته .

ولقد تنبه القدماء إلى صيغته فقالوا : إن أصله ليس بكسر الياء ولكن الياء سكنت استثقالا ، كما سكنت عين كل ما كان على هذا الوزن[1] (قاعدة ذكرها المبرد فى الكامل)

وأما زمنه فقالوا إنه استعمل بلفظ الماضى للحال (وهذا غريب سنعلم وجهه) .

وأما مادته فلم يعرفوا عنها شيئاً أو عرفوا عنها كل شىء فقد ألموا إلى أن أصلها لا أيس (وهى ملاحظة لها خطرها) .

ويتصل بليس ليت فالمعروف فى النحو أنها حرف تمنٍّ ولكن بعض العرب يجريها مجرى الفعل (كما فى الصحاح) .

والمهم أن ليت كليس[2] إلا أنها تقدمت خطوة فاحتلت صيغة واضحة فى الأفعال[3] فقيل لات . والأخفش يقول إنهم شبهوها بليس وأضمروا فيها اسم الفاعل .

أما نحن فماذا نقول ؟ نقول كما قال الأقدمون فى ليس : إن أصلها لا أيس كما نقول فى ليت إن أصلها لا أيت . لا معروفة وأيس أوأيت [ما هى ؟] .

أيس هذه رابطة تدل على كون مطلق كأيت وهى فى أكثر اللغات واحدة تقريباً خصوصاً اللغات القديمة . فى العبرانية (يش) وفى السريانية (إيت) وفى الفارسية واللاتينية (أيس) أو (أست) . فى الفارسية أست وفى الفرنسية est وفى الألمانية ist وفى الأسبانية es وفى الإنجليزية is .

وهكذا نجد أن ليت العربية ماهى إلا، لاوأيت السريانية تركت مع لا كما تركت أيس مع لا .

أما ما يختص بزمن ليس فهو بالضبط ما تدل عليه المادة فى اللغات المذكورة : فهو — كما قال الأقدمون — الحال بالرغم من أن صيغتها للماضى .

هذه الكلمة فى أغلب اللغات اختصت بشخص معين عند الربط أما فى العربية وفى الفارسية فلا . نقول فى العربية : لستُ ولستَ الخ كما نقول فى الفارسية . استم أو هستم وهستى وهست وهستيم وهستيد وهستند .

ولكن فى الفرنسية والأسبانية والألمانية والإنجليزية مثلا ليس لها هذا التصرف المطلق كما هو معروف . فقد اختصت بأشخاص دون غيرهم واعتيض عنها فى هذا الغير بروابط من أفعال مختلفة فى مادتها كما سيبين ذلك فيما بعد .

إذاً فقد كانت فى اللغة العربية رابطة للزمن الحالى ولكنها اندثرت ولم تبق منطوقاً بها إلا فى النفى .

وهنا يسأل لماذا اندثرت فى الإيجاب وبقيت ماثلة فى النفى .

الجواب عن هذا فى منتهى البساطة . فإن اللغة العربية لم تدون إلا فى مرحلة متأخرة من نموها واستكمالها وإن هذه الرابطة استغنى عنها فى التخاطب لأنها ليست بذات أهمية كبيرة فيه عند الإيجاب ولكنها لم يستغن عنها فى التخاطب إذا كانت فى النفى وهذا ما يحمل بالضبط الآن فى هذه اللغات التى تحتفظ بهذه الرابطة فى كتابتها عند الإيجاب فإنك إذا خاطبت أحد متكلميها وخصوصاً غير المثقف منهم فإنه يستغنى عن الرابطة فى الإيجاب ولكنه لا يستغنى عنها فى النفى .

وإذا اتضح ما قلنا فى ليس فإن الأمر — عند القراء — فى ليت ليس بهذا الوضوح فكيف صارت ليت تدل على التمنى فى اللغة العربية ؟

هذا سؤال نرجىء الإجابة عنه إلى المقال التالى .

وهنا سؤال أيضاً والإجابة عنه تزيد الموضوع وضوحاً ولا تترك فيه أى مجال للشك وهو :

إذا كان الأمر كما قلت فى ليس وأنها مجرد لا + أيس التى للربط فكيف صار خبرها منصوباً بعد أن كان مرفوعاً ؟

والإجابة عنه نتركها حتى نجيب عن ليت بحول الله .

محمد بن تاويت التطوانى

ليسانيه فى الآداب ودبلوم فى اللغات الشرقية

(١) من الأفعال
(٢) غريبة
(٣) المعتل العين

فلسفة جديدة للألم :

نحن فى عصر يحرص أبناؤه على فلسفة كل ظاهرة من ظواهره ، وكل معنى من المعانى التى يحسونها فى الحياة ، فهم يحاولون أن يفهموا الأمور بالتحليل والتأويل ، ولا يقنعهم فى هذا إلا أن يصلوا إلى طريق غريب ، أو ما يحسبونه هكذا ..

أقول هذا بمناسبة ما جاء فى البريد الأوربى أخيراً عن صدور كتاب فى بريطانيا بعنوان « من سرير فى المستشفى » ألفه كاتب أقعده المرض فى أحد المستشفيات وسجل فيه خواطره ومشاعره نحو المرض والعلاج وما انتابه من الألم ، وقد استهل الكاتب كتابه بقوله : « من أكبر الخطأ أن نحسب المستشفى مكاناً للألم والبؤس ، فإن الكثرة الساحقة من الذين يدخلون المستشفيات يخرجون منها صحاح الأجسام ، معافى الأبدان ، تاركين وراءهم الأتراح والآلام ، والهموم والأسقام » .

وتحدث عن شعوره بالألم فقال « إن الألم فى الواقع أخف كثيراً من رهبة الألم ، وفى شبابى كان أقل ألم يصيبنى يقفل عينى بحجاب كثيف من الظلمة التى تبعد قلبى عن الإيمان ، مع أنى لم أكن فى ذلك الوقت أشكو أكثر من وجع ضرس ، أو خدش ذراع ، وإنى اليوم — بعد أن عانيت كثيراً من الآلام المبرحة — لأنظر إلى أوجاعى القديمة بعين الأزدراء وأدهش لجبنى القديم فى احتمال آثارها التافهة الصغيرة » .

ثم يقول : إن الألم ليس شراً فى ذاته ، بل إنه تنبيه يشير إلى وجود الشر ، ويعهد للطبيب استئصال النازلة من موطنها ، لذلك أرى أن إسكات الألم والعمل على تسكينه فحسب أخطر على المرء من إزالة علامات السير من شارع مزدحم بالسابلة » .

ثم يختم هذه الفلسفة بقوله : « إن المرض مادة فى ميثاق الحياة ، فبعض الناس يحيون بدون كتب أو نزهات أو موسيقا ، والأسكيمو يعيشون على نصيب ضئيل من نور الشمس ، وأهالى جزر الباسفيك لا يقدمون الثلج وليست لهم به حاجة ، والرهبان والراهبات يحرمون أنفسهم كثيراً من اللذات ، ولكن الجميع يصرون على استكمال حياتهم إذا شابها شىء من نقص ، أو اعتراها أثر من مرض ... » .

الخطر الإنسانية :

هذا عنوان كتاب ألفه أحد العلماء فى جامعة تكساس بأمريكا وجعل قوامه دعوة موجهة إلى رجال العلم والفكر أن يوجهوا اهتمامهم إلى دراسة الإنسان وأن يعنوا بأنشاء فرع من العلوم هدفه فهم الأنسان على حقيقته :

ويقول هذا الباحث فى كتابه إن الخطر الذى يهدد الإنسانية ليس خطراً خارجاً عنها ، ولكنه كامن فى أطوائها ، فليس ثمة خطر من القنبلة الذرية وغير القنبلة الذرية وإنما الخطر كل الخطر مما يدور فى داخل الإنسان ويتجه بتفكيره ، ثم يقول إن المتاعب الناشئة الآن كلها نتيجة لعدم فهم الإنسان للإنسان ، ولهذا يجب على العلماء أن يتجهوا إلى هذه الناحية وأن يوفروا علمهم على الناس وتعرف البواعث والانفعالات التى تحركهم على مسرح الحياة فى جميع أدوار حياته ، ومتى كان الإنسان مفهوماً فى داخله استطعنا أن نتلافى الأخطار التى تهدد الإنسانية من الخارج ...

إعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمكتب حضرة مدير إدارة الميزانية واللوازم بوزارة الداخلية لغاية ظهر يوم ١٠ إبريل سنة ١٩٤٧ عن توريد فانلات صوف .

ويمكن الحصول على الاستعلامات اللازمة لذلك من إدارة أسلحة ومهمات البوليس وثمن النسخة من الشروط مائة وخمسون مليما . ٦٩٥٠

نعت الاسم المجموع بفعل (جمع أفعل وفعلاء) :

قرأت في العدد (٧١٢) من رسالتكم تعليقاً[١] لحبر اللغويين في بلاد الشام الأستاذ الكبير محمد إسعاف النشاشيبي على نعت الاسم المجموع بفعلاء وقد أجاز ذلك — حفظه الله — وأشار في أثناء التعليق إلى قول لي وقول للأستاذ الرافعي رحمه الله في النعت المذكور ، وقدم محصول رأيه بقوله : « نعتوا الاسم المجموع بفعلاء وفعل وليس في كلام المبرد في الكامل مايدل على منع النعت بالمفرد » . وإني أرى في كلامه ما يدل على المنع ، قال « فإن أردت نعتاً محضاً يتبع المنعوت قلت : مررت بثياب سود وبخيل دُهم ، وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه[٢] » . أراد به النعت الغالب الذي دخل في الاسمية والنعت المحض ، وكرر تقرير القاعدة في موضع آخر[٣] ، فمنع نعت الجمع بفعلاء مستفاد من قوله : « وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه » مريداً « أفعل » الذي هو اسم و «أفعل» الذي هو نعت ، ومن قوله «نعتاً محضاً يتبع المنعوت» مريداً « أفعل » الثاني ، لأن التمثيل يغني عن التفصيل ، ويجوز في هذا الفن تعليل حكمين بعلة واحدة ، والإيماء من مسالك العلة[٤] . أعني أن في قول المبرد إيماء إلى وجوب جمع النعت المحض بعد المنعوت المجموع وإن كان ظاهر مراده تكسير الصفة دل على ذلك تمثيله بـ « ثياب سود » ، ومفرد الثياب مذكر وبـ « خيل دهم » ولا بد من تأنيث الخيل ، فقد جمع بين المذكر والمؤنث في التمثيل ، ولو لم يرد تلك النكتة النعتية لاقتصر على المثال الأول ، ثم إن تركه الإتيان بمنعوت عاقل مجموع مثل « نساء دعج ورجال شوس » دليل على أنه لا فرق بين العاقل وغيره في هذا النعت .

ويجب أيضاً طرد الحكم في هذه المسألة فيقال « يجب جمع الخبر بأفعل وفعلاء إذا كان المبتدأ جمعاً أو دالا على الجمع[١] مثل « ثيابهم سود وخيلهم دهم » ، ويجب الجمع في الحال أيضاً ، وعليه قول التأخر :

بأنا نورد الرايات بيضـــاً ونصدرهن حمراً قد روينا

ولولا أن قوله — تعالى — « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » خاص بالعاقل لاستشهدت به ، على أن نعت الاسم المجموع بفعل لغة القرآن الكريم كقوله تعالى « عاليهم ثياب سندس خضر » « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود[٢] » وسبع سنبلات خضر » .

وكيفما كان الأمر فإن القاعدة ثابتة باستقراء كلام الله تعالى وكلام العرب ، وهو عندي أقوى الأدلة ، أما الجملتان اللتان استدل بهما الأستاذ الكبير العالم على جواز نعت الاسم المجموع [لغير العاقل] بفعلاء وفعل فقد عراهما تحريف في النعت نفسه ، فالأولى « وترى جراد البقول والرياحين وديدانها خضراء ... » والأصل « خضراً » جمع خضراء ، إلا أن الناسخ زاد بعد الألف همزة وغيّر صورتها ، وحرّف جمعها ، والثانية « فتراها كلها سوداء » والأصل «سوداً» بالنصب والجمع ولكن الناسخ الماسخ فعل بها ما قد فعل بخضراً[٣] . وقد جرى كثير من هذا التصحيف في « فعل » المنكرة المنصوبة ، دون المرفوعة والمجرورة ، ومن ذلك ما ورد في رسم « لوب » من مختار الصحاح[٤] ، ونصه : « اللوبة والنوبة بوزن الكوفة فيهما : الحرة الملبسة حجارة سوداء » والأصل — وهو الصواب — حجارة سوداً . ألا تراه قد قال في رسم «حرّ» من الكتاب نفسه « والحرة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار » . وفي الصحاح من طبعة العجم « قال أبو عبيدة لوبة ونوبة للحرة وهي أرض ألبستها حجارة سود (كذا) » . فهذا القول على تحريف فيه جُمِع فيه النعت لما لم يكن إلى النصب المحرف إلى الانفراد سبيل ، وفي نهاية

(١) في الموضوع المترجم بـ « نقل الأديب » ص ٢٣٠

(٢) الكامل للمبرد « ج ١ ص ٣٩ » من طبعة الدجوي .

(٣) الكامل ج ٢ ص ٢٥٠ من الطبعة المذكورة .

(٤) السيوطي في « الاقتراح ص ٥٥ و ٥٨ » ناقلا من الخصائص

(١) منه قول عنترة :

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الأسحم

وقوله تعالى « متكئين على رفرف خضر » .

(٢) وقيل إن الأصل « سود غرابيب » .

(٣) هذه عكية كما هو ظاهر

(٤) ص ٦٠٧ من طبعة وزارة المعارف المصرية

المجد ابن الأثير « اللابة : الحرة وهي الأرض ذات الحجارة السود التي قد ألبستها لكثرتها » . وجاء في المغرب للمطرزي « اللابة واللوبة : الحرة وهي الأرض ذات الحجارة السود » . وعلى ذلك جمهور اللغويين .

فالخطأ الذي انسرب في نسخة وزارة المعارف المصرية من مختار الصحاح إنما هو من آثار النُّساخ السيئة ، وكذلك القول في الجملتين اللتين ذكرهما الأستاذ الكبير — على ما مرّت إشارتنا إليه — فلا يصح الاستشهاد بهما ، وما أظن سعادته إلا عادلة منذ اليوم عن الاحتجاج بهما ، وهو المرء ينتجع الحق في ساحته ويستفاد العلم من قلمه وتستعذب مساجلته لمجده وسمو خلقه .

مصطفى جواد

في ديوان البحتري :

في « الرسالة » رقم (٧١٤) عقب الأستاذ محمد النجار على بيتين للبحتري — صاحب الشعر الشاعر — كانا قد وردا في تعقيب للأستاذ أحمد شكري في « الرسالة » رقم (٧١٣) . فقال إن في البيتين تحريفاً كما في الديوان ، فشمس صوابها مشمّس — وهو ضرب من الخمر — كما ذكر الأستاذ ، وحب صوابها صُبّ .

قلت : الأستاذ الفاضل مصيب في هذا التصويب . هذا وللديوان طبعتان ، إحداهما مصرية — حيا الله مصر وأهلها — والأخرى بيروتية ، وقد جاءت الكلمتان في طبعة بيروت بصوابهما لم تفقداه ، إلا أن هناك تغييراً في صورة البيت :

إذا صُبّ في الكأس مسودّه فكف النديم لها محبره

في طبعة بيروت ورد البيت هكذا :

إذا صُبّ مسودّه في الزجاج فكأس النديم به محبره

ولعلّ هذه هي الصورة الصحيحة للبيت ، فإن كأس النديم أولى بأن تشبه بالمحبرة من كفّه .

(نابلس) قدري عبد الفتاح طوقان

رسالة الوعظ والإرشاد :

مساهمة لها أثرها الفعال في نفوس الجماهير ؛ تلك التي يضطلع بها — مكتب الوعظ والإرشاد في ذكرى مولد الحسين — فهو يعد عدته لمحاربة تلك العلل التي تهد كيان الأمة الروحي والاجتماعي عن طريق إذاعة المحاضرات بواسطة مكبرات الصوت . وليس في هذا من جديد يستحق النظر والتسجيل ، إنما الجديد حقا هو هذا الأسلوب الذي يصطنعونه في الطب لهذه الأدواء ، فهو أسلوب جديد ، جدير بالتشجيع لما له من التأثير الاجتماعي والخلقي في روح الأمة ، لأنه يقوم على تناول أمراض البيئة وتصويرها في صور مؤثرة مخيفة ، حتى إذا ثارت بواعث كراهيتها لتلك الأمراض ، وبرزت دفائن احتقارها اياها ، قدم لها العلاج الإسلامي في أبهى حلة ، وسقاها إياه شرابا طهورا ، فلو استطاع العلماء الذين ينهضون برسالة الوعظ في الأمة أن يدرسوا خصائص كل بيئة وعقليتها وأمراضها ، ويحاولوا علاج ما فيها على هذا الضوء . لكان لرسالتهم صداها القوي ؛ في الإصلاح الاجتماعي والخلقي ، وما أشد حاجة الريف خصوصا إلى أمثال هذه الجهود التي تأخذ بيده في حياته الاجتماعية والخلقية المتعثرة ، فليس هناك من يستطيع انتشاله من عثرته غير رجال الدين إن صح عزمهم ، وقوى نشاطهم ، واتسعت ثقافتهم الاجتماعية والنفسية بجانب ثقافتهم الدينية ، حتى يتهيأ لهم أن يسيروا في معالجتهم تحت ضوئها ، وأن يهتدوا في تأدية رسالتهم بإرشادها ، فتختفي هذه الظاهرة التي كانت تملأ النفوس خزيا عندما كان الخطيب يرتقي المنبر . ثم يحدث الجمع الريفي الجاهل الفقير عن مضار التصييف في المصايف الأوربية وأمثال هذه الموضوعات التي لا صلة بينها وبين من يحاول إصلاحهم ، مما كان له أسوأ الأثر في تدهور الأمة اجتماعيا ، وخلقيا ، ولعل رجال الوعظ — وفيهم — صفوة من الشباب المثقف — يتلافون ما ورثوه عن عصور الركود والجمود والظلام ، وأن يؤدوا واجبهم في عصر العلم ، وفي عصف المذاهب الاجتماعية المتضاربة ، وإزاء تلك الموجة الإلحادية التي ترمي إلى التخلص من الأديان ، كما يجب أن ينهض به رجل الدين في عصر الثقافة والنور .

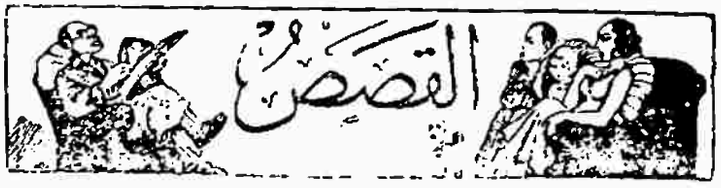

قصة من روائع الأدب الروسي :

الملك والناسك . . !

للفيلسوف الروسي ليو تولستوي

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

زعموا أن ملكا من ملوك القرون الغابرة الأولى . قيل له أن الفشل والإخفاق لن يملكا إليه سبيلا ، إذا ما أدرك دواماً خير الأحيان للانطلاق في العمل الذي يروق لباله ويعن لخاطره . وإذا ما ألم بأجدر الناس بالإنصات إليهم والإصغاء إلى حديثهم ... ومن هم أولئك الذين ينبغي عليه أن يجانبهم ويرغب عن مجلسهم ! . . وإذا ما تناهى علمه إلى معرفة أحق الأشياء بالعمل وأخلقها بالتحقيق فأمر الملك رجاله بأن يذيعوا في آفاق مملكته ، أن كل من يشير على الملك بخير الأوقات للعمل وأجدر الناس بالإنصات والصحبة وأفضل الأشياء وأحقها بالعناية والرعاية سوف يجازى جزاء حسناً ويحظى بهبة سنية من لدنه ... وأقبل العلماء وأهل الخبرة والتجربة من كل فج على الملك يتنافسون ويتسابقون يجلون له ما غمض عليه ويجيبونه على ما سألهم إياه . بيد أنهم تباينوا في آرائهم وتعارضوا في أقوالهم واختلفوا في مشورتهم . فقال بعضهم — جواباً على السؤال الأول — أن ليس ثمت سبيل إلى معرفة خير الأحيان إلا بتسطير لوحة تسجل عليها الأيام والأشهر والسنون ، ولا يسير المرء في شئون الحياة إلا وفق نظامها . وبهذا ينجلي المرء أي الأوقات خير من الأخرى وقال بعضهم إن ذلك لا يتأتى إلا بالفطنة واليقظة لما مضى ولما يجد من الأمور . فيتعرف على خيرها وأبلغها أهمية فيبتدره في حينه . وقال فريق منهم إنه مهما توخى الملك الدقة والبراعة في معرفة أجل الأوقات ، فان يبلغ مبتغاه . فمن أشق الأمور وأعضلها على الرجل الواحد أن يقرر الخير فيما يتراءى له من الأوقات ... وعليه أن يعقد مجلساً من أصحاب الحكمة في دولته فيلقى منهم عوناً صادقاً على تحديد الوقت اللائق الموفق

واختلفت آراؤهم على السؤال الثاني . فأجابه البعض بأن أجدر الناس بالرفقة والإصغاء هم أهل الشورى والحكمة ، وقال آخرون بأنهم رجال الدين والأطباء ... بينما رجح البعض أن الجند هم أفضل من يستفيد المرء من قربهم ... أما عن السؤال الثالث فرأى جمع منهم أن أحق الأشياء بالرعاية هو العلم ... ومال آخرون إلى أنه الحذق والبراعة في فنون الحرب والقتال . وارتأى بعضهم أنه الفناء في عبادة الله عز وجل وتأدية فروض الدين على أكمل وجه ...

فلما استبان للملك أنهم لم يستقروا على رأي صائب راجح منع عنهم عطيته ... وعقد في نفسه عازماً على أن يتوجه إلى ناسك ذاعت شهرته وطبقت حكمته كل أفق بعيد ... يستلهمه النصيحة ويستوحيه المشورة ... وكان ذلك الناسك يتعبد في جوف غابة لا يبرحها أبداً ... ولا يلقى من الناس إلا الفقراء والمعوزين . فأحاط الملك نفسه بثوب بسيط ، ليس عليه من ظواهر الملك شيئاً ... وترجل عن جواده وخلف حرسه على مبعدة وانطلق وحده ... فلما أدرك الناسك ألفاه يفلح الأرض أمام صومعته ... وحينما أبصره الناسك بادره بالتحية ، وانثنى إلى فأسه يضرب بها أديم الأرض ... فكانت الضربة التي يهوي بها فيقلب الترب تستنفد ما بقي في جسده من قوة ، وتجعله يهر من الأعياء وينهج من التعب ... فقد كان شيخاً ضعيفاً وهنت عظامه ووهت قواه . . !

فدنا الملك منه وأفصح له عما في نفسه قائلا : « أيها الناسك الجليل ... لقد أتيت إليك — عن نأي — أروم جوابك عن أسئلة ثلاثة : « أولها : كيف يتاح لي أن أعلم خير الأوقات لأنجز خير الأعمال ؟ » ، « وثانيهما : أي الناس أولى بالصحبة وأجدر بالاهتمام ؟ » ، « وثالثها : ما هي الأشياء التي تستوجب مني العناية وتستحق التفرغ لها ؟ » . فأصغى الناسك إليه منصتاً ، بيد أنه لم ينبس ببنت شفه جواباً ... وبصق في راحتيه وعاد ينبش الأرض بفأسه وهو يفلحها من جديد ... فارتفع صوت الملك — وقد لمح ما على الناسك من دلائل الضعف وظواهر الوهن : لقد بلغ التعب والإعياء منك مبلغاً ... فناولني الفأس ، أتولى عنك الإفلاح حيناً . ! » فلما هوى الملك بالفأس إلى الأرض مرتين ، رفع رأسه إلى الناسك ، وسأله ثانية جواباً على ما بسطه له وصارحه به ... فلم يتلفظ الناسك بشيء ، بل مد ساعده إلى الملك يبتغي الفأس قائلا « استرح قليلا ، ودعني أوالي العمل برهة ! » ولكن الملك رغب عن أن يعطيه الفأس ، وعاد يحتفر الأرض .

تصرمت ساعات اليوم ومال ميزان النهار وتولى الضياء عن صفحة الكون ... وراحت الشمس تتوخى سبيلها إلى المغيب فى حمرة موردة وراء الأشجار السوامق ... فألقى الملك الفأس من يده وهو يقول : « لقد أتيت إليك أيها الناسك الجليل أبتغى جواباً لأسئلتى الثلاثة ! فإن كنت لا تود أن تجيبنى عليها فخبرنى ... لأنقلب إلى دارى .! » فقال الناسك وهو يمد طرفه إلى الأفق « ثمة من يعدو ! . فدعنا نرى من يكون ! . » فتلفت الملك وراءه ... فألفى طرفه برجل ذى لحية كثة يركض نحوهما ! . . وقد أمسك يديه على بطنه ، والدم يتفجر خلال أنامله . فلما بلغ مكان الملك هوى أمامه على الأرض وهو يئن ويتأوه فى حدة وألم ... وقد تولاه الإغماء ... فراح الملك والناسك ينضوان عنه ثيابه ... فألفيا فى بطنه جرحاً غائراً فى الأمعاء ... أخذ الملك يغسله بالماء . . ويضمده بمنديله ثم برباط أتاه به الناسك من صومعته ... بيد أن الدم لم ينقطع سيله ، فعاد الملك يغير الرباط الملطخ بالدم بآخر أقتطعه من ثيابه ... فلما توقف فيضه عن الجريان والترف عاد إلى الرجل الجريح رشده وصوابه وأفاق من غشيته ... وطلب بعضاً من الماء فوافاه الملك بما سأله إياه ... وكانت الشمس حينئذ قد هوت كالجمرة خلف الأفق وغابت عن صفحة السماء ... وشاع البرد فى كل مكان ... فاستعان الملك بالناسك على رفع الرجل وحمله إلى داخل الكوخ حيث استقر فى الفراش وأغمض جفونه وراح يغط فى وسن هادىء وسبات عميق! وارتمى الملك فى ركن من الكوخ وقد أعياه العمل وأضناه العناء والكدح فأغرق هو الآخر فى النوم .

حينما استيقظ الملك فى صبيحة اليوم التالى ، كاد ألا يذكر أين مكانه ، ولا يعرف ذلك الرجل الملتحى الذى يقبع فى فراشه يحدق فيه ويرنو إليه بعينين نفاذتين . . . قال الرجل — وقد أحس أن الملك بدأ يستعيد وعيه ويفيق من نومه وراح ينظر إليه — « أضرع إليك أن تشملنى بعفوك ! » فأجابه الملك فى رنة عجب : « إنى لا أعرف من أنت ... فعلام ترجو عفوى ؟ ! » - « أنت لا تعرفنى بيد أنى أعلم من أنت ! . فأنا ذلك العدو الذى أقدم غير حانث على أن ينزل بك نقمته وعدوانه جزاء ما أحدثت أخاه وانتهبت داره وشردت أهله ... فقد تناهى إلى علمى أنك قاصد إلى الناسك ... فبيت النية وعقدت العزم على أن أنهز هذه البادرة وأقتلك وأنت فى سبيل العودة . . ! ولكن اليوم تقضى ولم أستبن لك أثراً . . ! فبرزت من مكمنى لأنقب عنك . . ! فلمحنى رجالك وتعرفوا على ، وأصابونى بجرح بالغ فى بطنى . . لقد أفلت منهم فتلقتنى براثن الموت ، وكدت أن أسلم الروح لولا أن توليتنى بعنايتك فآسيت جراحى وآويتنى فى هذا الكوخ ... لقد كنت متعمداً قتلك فأنقذت حياتى . . جزيت خير الجزاء . . . والآن لو امتد بى الأجل فسوف أقوم على خدمتك — إن رضيت — عامر القلب بالإخلاص لك كعبد من عبيدك الأوفياء ... وكذلك أبنائى وأهل بيتى فقد قيدت عنق ربهم بمعروف لن ينساه فأسألك أن تعفو عنى وتغفر لى ! » فاستخف الملك الفرح والبشر وطربت نفسه وطاب قلبه بما رأى من السلم والوفاق الذى عقده مع عدوه فى بساطة وهدوء فكسبه صديقاً وفياً . فلم يعف عنه فحسب بل أخبره بأنه سوف يبعث إليه بخيرة أطبائه وخدمه ليقوموا على العناية به ووعده بأن يرد عليه ماله المسلوب ويعيد إليه ملكه المغصوب .

غادر الملك صاحبه الجريح وأخذ يتلفت فى ساحة الكوخ باحثاً بعينه عن الناسك ليرجوه من جديد أن يجيبه على أسئلته . فألفاه جاثياً على ركبته يغرس الحب فى النقر التى احتفرها البارحة فدنا منه ودعاه قائلا : « إنى أرجوك لآخر مرة أن تجيبنى على ما سألتك إياه ... أيها الحكيم الجليل » ... فأجابه الناسك وهو ما يزال جاثياً على ساقيه الرقيقتين « لقد أجبت على ما تود ! ! » فتساءل الملك فى دهش وعجب « كيف أجبت ؟! وما الذى تعنيه » فرفع إليه الناسك رأسه وعلى ثغره ابتسامة ، وقال فى صوت شاع فيه الهدوء والرزانة : « ألم تر أنك . لو لم تترفق بى وترحم ضعفى بالأمس ولم تعنى لى هذه الحفيرات بل انطلقت فى سبيلك لهاجمك ذلك الرجل وبلغ منك مقتلا ... وحينئذ كنت تقعد نادماً تأكل قلبك الحسرة وتتمنى لو أنك مكثت لا تبرحنى . إن خير وقت كان فى ذلك الحين الذى كنت تحتفر فيه الأرض ... وكنت أنا أولى الناس باهتمامك ورعايتك ... وكان أفضل عمل أديته هو الإحسان إلى ... ! وبعد حين أتانا ذلك الرجل يسعى راكضا .. فكان أدق وقت هو ذلك الذى توليته فيه بعنايتك وحدبك ... إذ لو أنك رغبت عن معونته لقضى دون أن تحظى منه بسلام وحمد ولذا كان هو أجدر الناس وأحقهم بالاهتمام والعطف وكان ما أديته له من معروف من أروع أعمالك وأجل فعالك . فاعلم إذن أن ليس ثم إلا وقت واحد يستحق منك الاهتمام ذلك هو «الآن» الذى تكون فيه ... فهو الآونة الوحيدة التى تتملك فيها قوتك وقدرتك ، وأحق الناس بأن تعنى به هو من يكون معك فأنت لا تدرى إذا كنت تعامل غيره بعد ذلك أو يكون هو آخر من تعامل! وأجل الأشياء وأعظمها شأناً هو أن تبادر بالخير والمعروف إلى غيرك فلهذه الغاية السامية فطر الإنسان فى هذا الكون .

(القاهرة) مصطفى جميل مرسى .

جحا قال يا أطفال

ظهر حديثا :

وزة السلطان

بقلم المربى الكبير الأستاذ كامل كيلانى

ثمنها خمسة قروش بالألوان والشكل الكامل

يظهر قريبا :

سوق الشطار

ثمنها خمسة قروش

طلبات الجملة من مجلة الرسالة

سادهانا
أو
تحقيق الحياة

أروع ما كتبه شاعر الهند رابندرانات تاجور

يتناول بالبحث أعوص معضلات الحياة ، ويعرض حكمة الشرق فى أسلوب فذ وخيال رفيع . نقله إلى العربية :

الأستاذ محمد طاهر الجبلاوى

وقدم له الكاتب الكبير

الأستاذ عباس محمود العقاد

يطلب من مكتبة الانجلو المصرية بشارع قصر النيل رقم ٣٣

الثمن ١٧ قرشا والبريد ٣ مليما تليفون ٥٠٣٣٧

سكك حديد الحكومة المصرية

خطا طنطا — المنصورة — دمياط — ودمياط — تفتيش كفر سعد — فارسكور البلد

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه ابتداء من ١٥ مارس سنة ١٩٤٧ ستنفذ التعديلات الآتية :

١ — قطار الركاب رقم ٥١ (الذى يغادر طنطا فى الساعة ٥٠ ٨ إلى دمياط) سيبرح المنصورة فى الساعة ١٠ ١١ بدلا من الساعة ١٠ ١٢ إلى دمياط .

٢ — سيمتد مسير قطار الركاب رقم ٥٣ (الذى يغادر طنطا فى الساعة ٢٠ ١١ إلى المنصورة) بين المنصورة ومياط فيصل إلى دمياط فى الساعة ٥٠ ١٤ .

٣ — سيبدأ مسير قطار الركاب رقم ٥٦ من دمياط فى الساعة ٤٥ ١٥ إلى طنطا فيصلها فى الساعة ٣٥ ١٩ (موعده الحالى) .

٤ — سيسير دور علارة بالعربة البخارية بين فارسكور البلد وتفتيش كفر سعد يغادر فارسكور البلد فى الساعة ٢٠ ١٢ إلى تفتيش كفر سعد ويعود منها فى الساعة ٤٥ ١٢ إلى فارسكور البلد .

٥ — ستعدل مواعيد دور العربة البخارية رقم ١٠ فيغادر فارسكور البلد فى الساعة ٤٥ ١٣ إلى تفتيش كفر سعد ويعود منها بالدور رقم ١١ فى الساعة ٣٨ ١٤ إلى فارسكور البلد .

٦ — سيلغى مسير دورى العربة البخارية رقم ١٢ و ١٣ بين تفتيش كفر سعد ودمياط وتعدل مواعيدهما بين فارسكور البلد وتفتيش كفر سعد ، فيغادر الدور رقم ١٢ فارسكور البلد فى الساعة ٥٠ ١٥ إلى تفتيش كفر سعد ويعود منها بالدور رقم ١٣ فى الساعة ١٥ ١٦ إلى فارسكور البلد .

وذلك وفقا للمواعيد الموضحة بالإعلان المعروض بالمحطات